دور الخدمة الاجتماعية في العمل مع المنحرفين
« منظور إسلامي »

أ.د. علي حسين زيدان

سارت الغالبية العظمى من المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر على نهج النظريات والنماذج الغربية سواء كان ذلك في تحليل ظاهرة الانحراف وتفسيرها أو في نماذج التدخل المهني لعلاجها ، فعلى المستوى النظري نجد أن معظم الكتابات في ظاهرة الانحراف مجرد صدى للكتابات التي تصدر في المجتمعات الغربية ، وما أن تظهر نظرية أو محاولة لتفسير هذه الظاهرة أو جانب منها في الكتابات الغربية إلا ونجد لها صدى في مجتمعاتنا الإسلامية ، وتكفي النظرة السريعة لأي مؤلف في هذا الموضوع للاقتناع بصدق هذه المقولة ، كما أن القوانين الموضوعة في معظم الدول الإسلامية تسير على نفس الوتيرة ، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤسسات التي تعمل في هذا المجال ، والنتيجة المتوقعة بالطبع هو تكرار فشل هذه النظريات والنماذج في حل مشكلة الانحراف في الدول الإسلامية ، كما فشلت من قبل في حل هذه المشكلة في مجتمعاتها ، بل إن انتشار هذه النظريات والنماذج في العالم الإسلامي شجع المعنيين بمواجهة هذه المشكلة على الركون إليها على اعتبار أنها آخر ما وصل إليه التقدم العلمي في الغرب المتقدم ، وهي بديل جاهز لا يحتاج إلى جهد ، كما راجت بعض المقولات الخاطئة مثل أن الانحراف هو أحد الأعراض الجانبية للتحضر والمدنية وأصبحت المدنية الغربية في سائر مناحي الحياة هي أقصى ما يطمح إليه في المجتمعات الإسلامية ، مع الاستعداد لقبول مشكلات هذه المدنية واستيراد الحلول الجاهزة لها أيضًا ، وساهم هذا إلى حدٍّ كبير في تكريس التبعية الفكرية والثقافية والعلمية للغرب ، وعَزَفَ الكثير من العلماء والمتخصصين في العلوم المعنية بظاهرة الانحراف عن البحث عن تفسير لهذه الظاهرة وعواملها وكيفية مواجهتها فيما أنزله اللَّه سبحانه وتعالي من الكتاب والحكمة على رسوله المصطفى استغناءً بما أتى به جراماتيكا وفرويد وسذرلاند وماركس ... وغيرهم .

ويحتوي الإسلام على تصور متكامل للتعامل مع ظاهرة الانحراف وصفًا وتحليلًا وتفسيرًا وعلاجًا ، ومما يزيد من ثراء هذا التصور أنه وجد طريقه بالفعل إلى التطبيق في المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام ، وكانت نتائجه باهرة .

وقد حرص الباحث على أن يقتصر في إعداده لهذا التصور على المراجع الإسلامية حتى لايقع أسيرًا للفكر الوضعي بما فيه من مفاهيم وتصنيفات ، كما حرص على أن

يكون اعتماده على القرآن الكريم أولًا ، ثم الأحاديث النبوية الشريفة ، مع الحرص على أن تكون الأحاديث التي يعتمد عليها غير مطعون في محتواها ثم التفاسير والشروح والآراء المشهود لها بالتوسط والاعتدال ، ويرى الباحث في هذا المنهج ضرورة – في هذه المرحلة – حتى نستطيع استخلاص المنظور الإسلامي نقيًا لا تشوبه شوائب الانزلاق في المزج بينه وبين النظريات الغربية التي يسهل الانزلاق إليها لما تتضمنه من مفاهيم وعلاقات وتصنيفات جاهزة ، على أن تكون الاستفادة من معطيات النظريات الحديثة في موضوع معين بعد الوصول إلى معالم محددة وملموسة للمنظور الإسلامي في هذا الموضوع يمكن أن تكون معيارًا لتحديد الصالح من الفاسد من هذه النظريات .

أولًا : المسلَّمات الأساسية

يُسْتَمَد المنظور الإسلامي للانحراف من نظرة الإسلام الشاملة إلى الإنسان وعلة وجوده في هذا الكون وعلاقته بخالقه وعلاقته بغيره من الناس ، والتي تقوم على مسلمات أساسية نوجزها فيما يلي :

١ - الإيمان بالغيب :

الإيمان يعني التصديق ، والغيب هو ما غاب عن الإنسان ، أي أن حدود ما يصدِّق به الإنسان لا تقتصر على مجرد ما هو موجود في محيطه المادي وما يستطيع إدراكه بالحواس ، أو حتى مع الاستعانة بالمساعدات من الأجهزة والأدوات المادية ولكنها تمتد إلى ما هو أبعد من ذلك ، وقد أتى الأمر بالإيمان بالغيب في بداية السورة الأولى من القرآن بعد الفاتحة : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ١ – ٣] .

ويتضح الغيب المطلوب الإيمان به من الآية الكريمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦] .

كما بيَّنه الحديث الشريف حين أتى جبريل ، فسأل رسول اللَّه ﷺ قائلًا : .... فأخبرني عن الإيمان ، فقال : « **أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** » ، قال : صدقت ... [١] .

---

(١) رواه مسلم .

فالإيمان باللَّه على أنه إله كل شيء ، وخالق كل شيء ، وعالم بكل شيء ، وليس كملثه شيء ، وقد فطر اللَّه الناس على هذا الإيمان :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

ويقول اللَّه ﷻ في الحديث القدسي : « **إني خلقتُ عبادي حنفاء كلَّهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم ، وحرَّمت عليهم ما أحلَلْتُ لهم ، وأمرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزِّل به سلطانًا** » (١) .

ويقول الرسول في الحديث الشريف : « **ما من مولود إلا ويولد على الفطرة** .... » (٢) .

والإيمان بالملائكة على أنهم خلق اللَّه أوجدهم ووكل إليهم مهام متنوعة وأنهم : ..

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

والإيمان بالكتب التي أنزل اللَّه على رسله وأن ما تضمنته هو الحق من اللَّه سبحانه لإبلاغ البشر بما يريده منهم ، وأن القرآن الكريم هو خاتم هذه الكتب والمهيمن عليها .

والإيمان بالرسل الذين أرسلهم اللَّه سبحانه إلى البشر لإبلاغ منهجه ، وأن ما جاءوا به هو بلاغ من اللَّه ، وأن محمدًا رسولَ اللَّه ﷺ هو خاتم الرسل ؛ ولا رسل ولا رسالات بعده ، وأن كل ما جاء به هو الحق من ربه .

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣ ، ٤] .

وأنه رسول إلى البشر كافة ، وأننا مأمورون بأن نفعل ما أمرنا به وننتهي عما نهانا عنه وأن هذا هو طريق الحق الذي يأمرنا اللَّه به (٣) : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣ ، ١٢٤] .

والإيمان باليوم الآخر كما أخبر اللَّه عنه ، وأن كل إنسان محاسب على ما يعمل في الدنيا وأن جميع أعماله مسجلة عليه :

---

(١) أخرجه مسلم عن عياض .

(٢) متفق عليه عن أبي هريرة .

(٣) ابن أبي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) . (ص ١٦٥ - ١٦٨) .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥] .

وأن المصير إلى خلود دائم إما في الجنة وإما في النار ، فمن آمن وعمل صالحاً فمصيره إلى الجنة ، وأما من كذَّب وعمى فمصيره إلى النار : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥ - ١٠] .

والإيمان بالقدر خيره وشره ، وأن كل شيء يسير حسب مشيئة اللَّه سبحانه ، ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن اللَّه على كل شيء قدير ، وأن مشيئة اللَّه هي حرية عباده في الاختيار وأنهم محاسبون على اختيارهم [١] .

ويقتضي التسليم بما ورد في هذه المسلَّمة ألا نقتصر في تفسيرنا لسلوك الإنسان على المتغيرات المتصلة بعالم الشهادة وأن ندخل تأثير المتغيرات الخاصة بعالم الغيب ، فمن محاولات تفسيرنا للسلوك الإنساني ، وأن ننظر إلى السواء على أنه طاعة اللَّه ، وإلى الانحراف على أنه معصية اللَّه .

٢ - القرآن والسنة النبوية مصدران أساسيان لمعلوماتنا اليقينية عن الإنسان والكون :

ترتبط هذه المسلَّمة بسابقتها وتترتب عليها . فالإيمان باللَّه وكتبه ورسله يقتضي التسليم بأن القرآن كلام اللَّه أنزله على رسوله وتكفَّل بحفظه .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

وأنه جاء بالحق من عند اللَّه لهداية الإنسان وتعليمه وتنظيم علاقته بخالقه وبغيره من المخلوقات أورد فيه اللَّه سبحانه ما شاء أن يعلِّمه إياه من أمور الغيب التي لا تصلح الوسائل والأدوات المادية للوصول إليها ، كما أورد فيه وصفًا للعديد من الحقائق الكونية والاجتماعية والنفسية ، وإن كان ما جاء فيه حق وصدق .

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧] .

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠٢] .

وكذلك الأمر بالنسبة للسنة النبوية الصحيحة التي ثبتت نسبتُها إلى رسول اللَّه ،

---

(١) محمد خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية ، الرياض ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، (١٤٠٣هـ ١٩٨٣م) ، (ص١٥٧ ، ١٥٨) .

فالسنة النبوية توضيح للقرآن وبيان للمراد منه ، تفصِّل مجمله ؛ وتقيِّد مطلقه ؛ وتخصص عمومه [١] .

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧] .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢] .

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ - ٤]

فكل ما جاء عن رسول اللَّه ثبتت نسبته إليه من أقوال أو سلوك ، إنما هي من اللَّه ﷻ ، وهي حق وصدق يجب التصديق به .

٣ - استحالة التعارض بين الوحي وبين الحقائق الكونية :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢] .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]

اللَّه سبحانه وحده دون معين ولا شريك هو خالق هذا الكون فلو كان هناك أكثر من خالق لوضع كل منهم نظمًا وتوجيهات وقوانين مختلفة ، ولحدث تعارض وتناقض بينهما ، وَلَما كان الكون على ما نعهده فيه من النظام والاتساق والاستمرارية ، فهو الخالق الذي وضع القوانين والعلاقات والسنن التي يسير هذا الكون بمقتضاها في كل كبيرة وصغيرة ، وفي كل جانب من جوانبه المادية وغير المادية ، فعلمه إذن علم مطلق وصحيح وكامل [٢] .

وهو سبحانه منزل الوحي على رسوله ، فالخالق العليم بما خلق هو الذي أوحى إلى خلقه من البشر بما يريدهم أن يعرفوه ، وهو الذي تكفل بحفظ ما يوحي إليهم به ، فهل يمكن أن يتعارض أو يختلف ما جاء به الوحي من بيان لبعض سنن اللَّه ﷻ في خلقه عما تكون على هذه السنن في الواقع !!! ؟ إننا نسلِّم ونؤمن بأن ما نزل به الوحي لا يمكن أن يتعارض مع الحقائق الكونية .

إننا نؤمن باستحالة التعارض بين ما نزل به الوحي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي ثبتت نسبتها إلى رسول اللَّه ﷺ وبين الحقائق الكونية في واقعنا المادي والاجتماعي . أما ما يحدث في بعض الأحيان من شبهة في هذا التعارض ، **فمرجعه إلى**

---

(١) محمد خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية ، الرياض ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) (ص ١٠٨) .

(٢) المعهد العالمي للفكر الإسلامي : إسلامية المعرفة ، واشنطون ، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ، (ص٨٠ ، ٨١) .

عاملين اثنين هما :

١ – التسرع في الربط بين ما نزل به الوحي وبين نظريات لا تطابق الواقع ولا تعبِّر عن سنن اللَّه سبحانه في خلقه .

٢ – الخطأ في فهم ما نزل به الوحي ، أو التعسف في تحميله ما لا يحتمل من تفسير وتأويل ؛ ذلك أنه يمكن فهم بعض الآيات القرآنية أو بعض الأحاديث النبوية الشريفة على أكثر من وجه ، وقد يكون فهمنا في بعض هذه الأوجه غير صحيح ، ولا تؤخذ القضية على وجهها الصحيح ، حيث إن التناقض ليس بين ما تم اكتشافه من سنن اللَّه في خلقه وبين ما نزل به الوحي ، ولكنه تناقض بين الحقيقة الكونية ، وأحد الأوجه التي فهم بها الوحي ، كما أن تبنِّي بعض المجتهدين لبعض النظريات وحماسهم الشديد لها قد يدفعهم إلى ليِّ أعناق الآيات والأحاديث الشريفة وتحميلها ما لا تحتمل حتى تتفق مع ما تبنوه من نظريات ، كما قد يتحيزون لتفسير أو تأويل دون غيره على الرغم من كونه مرجوحًا بغيره .

٤ - الوجود الدنيوي أحد أشكال الوجود الإنساني سبقه ويليه أشكال أخرى للوجود :

لا يقتصر الوجود الإنساني على مرحلة الحياة الدنيوية كما أن الصورة التي يوجد عليها الوجود الدنيوي ليست هي الصورة الوحيدة للوجود الإنساني ، فالوجود البشري الدنيوي الذي نحياه ونشعر به إنما هو صفحة محصورة بين صور أخرى من الوجود الغيبي قبل الميلاد وبعد الممات [١] .

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨] .

وتثبت هذه الآية للإنسان موتين وحياتين ، معلوم أن الموت صورة من صور الوجود الإنساني تكون الروح فيه منفصلة عن الجسد ، ثم يتحول هذا الوجود إلى الوجود البشري الحالي ، ثم تخرج الروح من الجسد عند موت الإنسان عقب انتهاء أجله في هذه الحياة الدنيا ، ثم تعود الروح إلى الجسد مرة أخرى ليبعث في حياة أخرى يوم القيامة [٢] .

---

(١) فاروق الدسوقي : مقومات المجتمع المسلم ، الرياض ، مكتبة فرقد الخاني ، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م) ، (ص ٩٥ – ٩٦) .

(٢) أبو عبد اللَّه الأنصاري القرطبي : مرجع سبق ذكره ، الجزء الثالث (٢٤٨/٣) .

وقد أخبر اللَّه سبحانه عما حدث للإنسان قبل حياته الدنيا من قبول الإنسان لحمل الأمانة التي عرضها اللَّه سبحانه عليه وإشهاده بالربوبية للَّه ، وبما يريده اللَّه ﷻ من الإنسان في حياته من إيمان به والتزام بمنهجه ، وما يحدث له بعد موته سؤاله في القبر وما يحدث له فيه من النعيم أوالعذاب ، وما يحدث يوم القيامة من بعث وجزاء وخلود إما في الجنة أو في النار .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر : ١٧] .

كما أن حقيقة الإنسان في مرحلة الوجود الدنيوي لا تقتصر على مجرد الجسد المادي الذي يمكن إدراكه بالحواس ، وإنما هناك مكون آخر يدخل في عالم الغيب هو الروح وهي سر تكريم الإنسان على كثير من خلق اللَّه .

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٧ - ٩] .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

ويقتضي التسليم بذلك تصحيح النظرة إلى الحياة الدنيا فهي ليست كل شيء ، وطموح الإنسان السوي لا يجب أن يقتصر على مجرد ما يستطيع تحقيقه في الحياة الدنيا ، بل يجب أن يذهب إلى ما هو أبعد ، إلى تحقيق السعادة الدائمة والأبدية في الحياة الآخرة بطاعة اللَّه فيما أمر به ، والانتهاء عما نهى عنه .

٥ - الإنسان هو الاختيار محاسب على اختياره الإرادي :

أثبت القرآن الكريم إثباتًا بيِّنًا لا لبس فيه حرية الإنسان في الاختيار ومسؤوليته في تحمل نتائج هذا الاختيار .

﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا

وَسَعِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان : ٣ - ٥]

وقد كفل اللَّه سبحانه للإنسان العدل الكامل والمطلق ، فقد وهبه أداة الاختيار وهي العقل وبيَّن له عن طريق الوحي ما يفعل وما لا يفعل ، وأوجد له من البدائل ما يمكِّنه من اختيار ما يريد ، وبيَّن له النتائج المترتبة على اختيار كل بديل ، بل وأسقط عنه الحساب والعقوبة إذا لم تتوفر له جميع مقومات الاختيار الحر ، أسقطها عن الصغير الذي لم يكتمل نضجه العقلي ببلوغه سن الحلم ، وعن المكره الذي لا اختيار له ، وعن مريض العقل (المجنون) الذي لايدري ماذا يفعل .

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٥ - ٤١] .

وتكون النتيجة الحتمية للاختيار بعد ذلك أن البعض يختار الحق ، ويختار البعض الآخر الباطل ، ويسير البعض على الصراط المستقيم ، ويخرج البعض عنه . وعلاقة الدنيا بالآخرة هي علاقة العلَّة بالمعلول ، والمقدمة بالنتيجة ، والشجرة بالثمرة فعلى حسب الاختيار تكون النتيجة (١) .

ويقتضي التسليم بذلك رفض مبدأ الجبرية أو الحتمية في السلوك الإنساني ، فالإنسان ليس أسيرًا لقهر الظاهرة الاجتماعية ، كما أنه ليس أسيرًا لخبرات لاشعوره أو خبرات طفولته المبكرة ، وإنما هو مختار محاسب متى توفرت مقومات هذا الاختيار .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر : ٣٨] .

ثانيًا : مفهوم الانحراف

أصل كلمة الانحراف في اللغة العربية (حَرَفَ) ، ويقال : حرف الشيء يحرف حرفًا وتحرف وانحرف واحرورف ، وحَرْف كل شيء طرفه وشفيره ومنه حرف الجبل أي أعلاه المُحدَّب ، ويقال : فلان على حرف من أمره أي على ناحية منه ، وتحريف الكلم عن مواضعه تغييره ، وفي حديث أبي هريرة : « **آمنت بمحرِّف القلوب** » هو المزيل أي مميلها ومزيغها وهو اللَّه تعالى (٢) .

---

(١) فاروق الدسوقي ، مرجع سبق ذكره ، (ص ١٠٨) .

(٢) ابن منظور : لسان العرب بيروت ، دار لسان العرب ، د . ت ، (ص ٦١٠ - ٦١١) .

فالانحراف إذن هو ترك الحق والوسطية والاستقامة ، ويقتضي الانحراف منحرفًا عنه ومنحرِف .

أما المنحرَف عنه فهو الطريق المستقيم ، والصراط في لغة العرب هو الطريق ، والمستقيم هو الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ، وهو دين الإسلام ، وسمِّي الدين طريقًا ؛ لأنه يؤدي إلى الجنة فهو طريق إليها [١] .

والصراط المستقيم لا يكون إلا واحدًا مَن خرج أو انحرف عنه وقع في طريق من طرق الضلال ، وهو طريق الأمة الوسط الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط ، ويتضمن أمورًا باطنة في قلب الإنسان وضميره من اعتقادات ، وإرادات ، وتوجُّهات ، وأمورٍ ظاهرة من أقوال ، وأفعال ، سواء كانت عبادات مثل الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج وغيرها ، أو عادات في الطعام والشراب والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة وغيرها ، وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينها ارتباط ، فما يوقن في القلب من مشاعر وأحوال واعتقادات يوجب أمورًا ظاهرة من الأقوال والأفعال ، وما يحدث من أقوال وأفعال يوجب في القلب شهورًا وأحوالًا [٢] .

وهذا الطريق واحد لا ثاني له وهو ما بعث اللَّه به رسله ، وأنزل به كتبه ، وفي ذلك يروي ابن مسعود عن رسول اللَّه ﷺ : خط لنا رسول اللَّه ﷺ خطًّا ، وقال : « **هذا سبيل اللَّه** » ، ثم خط خطوطًا عن يمينه ويساره ، وقال : « **هذه سبل ، على كل سبيل شيطان يدعو إليه** » ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] [٣] . وهو منهج اللَّه ﷻ للبشر الذي أوجب عليهم الالتزام به ، ووضع لهم في فاتحة الكتاب دعاءً بالهداية إليه يدعون به في كل ركعة من ركعات صلواتهم .

والصراط في الآخرة هو جسر مضروب على جهنم يؤدي إلى الجنة يجوز عليه الناس ، وعلى جنبتيه كلاليب تختطف أناسًا هي أعرف بهم من الرجل بولده ، فتهوى

---

(١) أبو عبد اللَّه الأنصاري القرطبي : مرجع سبق ذكره ، (١٤٢/١٣) .

(٢) ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق وتعليق ناصر عبد الكريم العقل ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٤هـ) المجلد الأول ، (ص ٧٩) .

(٣) ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، هذبه عبد المنعم صالح العلي العربي ، دولة الإمارات العربية ، وزارة العدل والشؤون الإسلامية بدولة الإمارات العربية المتحدة ، (١٤٠٢هـ) ، (ص ٢٧) .

بهم في النار ، ويكون جواز الناس على الصراط بقدر أعمالهم ، فمنهم من يجوز كالبرق ، ومنهم من يجوز كالريح ، ومنهم من يعدو عدوًا ، ومنهم من يحبو على وجهه ويديه ورجليه [١] ، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : « ... **ويُضرب جسر جهنم** » ، قال رسول اللَّه ﷺ : « **فأكون أول من يجيز ، ودعاء الرسل يومئذٍ : اللَّهم سلِّم ، اللَّهم سلِّم ، وبه كلاليب مثل شوك السعدان ، أما رأيتم شوك السعدان ؟** » قالوا : بلى يا رسول اللَّه ، قال : « **فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنها لا يعلم عظمها إلا اللَّه ، فتخطف الناس بأعمالهم ؛ منهم الموبق بعلمه ، ومنهم المخردل ثم ينجو ..** » [٢] . ومن هدي إلى الصراط المستقيم في الدنيا ، هدي إلى الصراط المستقيم في الآخرة .

فالمنحرف إذن هو الخارج عن منهج اللَّه ﷻ وهو دينه الذي ارتضاه للناس بما تضمنه من أوامر ونواهي تنظم للناس أمور حياتهم .

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٤] . والنكوب في اللغة العربية تعني العدول عن الشيء أو الميل عنه إلى غيره ، ومنه نكبت الريح إذا لم تستقم على مجرى [٣] .

وينقسم الناس بحسب معرفتهم لهذا المنهج والعمل به إلى :

١ – عالم بالمنهج وعامل به : وهم الذين عرفوا منهج اللَّه وآمنوا بأنه الحق واتبعوا ما جاء به ، فائتمروا بما أمر به ، وانتهوا عما نهى عنه ، وهم المشار إليهم في سورة الفاتحة على أنهم أصحاب الصراط المستقيم الذين أنعم اللَّه عليهم .

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٦ ، ٧] .

٢ – عالم بالمنهج تارك له : وهو الذي يعرف المنهج ، ويعلم أنه الحق من عند اللَّه ولا يتبعه اتباعًا لهواه ولمصالحه الدنيوية .

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

---

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري لشرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز بن باز ، الرياض ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (٤٥٢/١١ ، ٤٥٣) .

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .

(٣) أبو عبد اللَّه الأنصاري القرطبي : مرجع سبق ذكره ، الجزء ١٢ ، (ص ١٤٢) .

وأولئك هم المغضوب عليهم المشار إليهم في فاتحة الكتاب .

٣ - جاهل بالمنهج ضال عنه غير عالم به بالطبع .

﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [الحج : ١٢] .

وأولئك هم الضالون الذين خرجوا عن الصراط المستقيم وهم يحسبون أنهم أهدى من غيرهم وأن ما يسيرون عليه أفضل مما يسير عليه غيرهم .

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ - ١٠٥] .

وبناء على ما تقدم يمكننا أن نعرف الانحراف من المنظور الإسلامي على أنه : « معصية اللَّه سبحانه بفعل ما نهى عنه أو ترك ما أمر به » .

ثالثًا : أنواع الانحراف

ويمكن تصنيف الانحراف من المنظور الإسلامي ، طبقًا لمعايير متعددة على النحو التالي :

١ - تصنيف الانحراف طبقًا لموضوعه :

- انحراف في علاقة الإنسان باللَّه .
- انحراف في علاقة الإنسان بالإنسان .
- انحراف في علاقة الإنسان بسائر خلق اللَّه .

٢ - تصنيف الانحراف طبقًا لإمكانية مشاهدته وإثباته :

- انحرافات ظاهرة .
- انحرافات باطنة .

٣ - تصنيف الانحراف طبقًا لتوقيت العقوبة عليه :

- انحرافات عقوبتها في الدنيا .
- انحرافات عقوبتها في الآخرة .

٤ – تصنيف الانحراف طبقًا لطبيعة الفعل المنحرف :

- انحراف بالإتيان .
- انحراف بالترك .

٥ – تصنيف الانحراف طبقًا لاتجاهه :

- انحراف بالتفريط .
- انحراف بالإفراط .

٦ – تصنيف الانحراف طبقًا لجسامة المعصية :

- الكبائر .
- السيئات (اللَّمم) .

١ - تصنيف الانحراف طبقًا لموضوعه :

أ – انحراف في علاقة الإنسان باللَّه :

وليس للعبد تجاه سيده إلا الطاعة في كل ما يأمره به وينهاه عنه من اعتقادات وأقوال وأفعال .

ويشوب علاقة الإنسان باللَّه نوعان من الانحراف هما :

– **انحراف في العقيدة** : السواء في العقيدة هو التوحيد ، وذلك بأن يعلم الإنسان ويعتقد ويشهد بأن اللَّه وحده لا شريك له ، ليس كمثله شيء ، لا إله غيره ولا يعجزه شيء ، لا يفنى ولا يبيد ، وأنه هو الخالق والرازق والعالم لا يخفى عليه شيء ، وألا يعبد إلا إياه مخلصًا له الدين بلا ندٍّ ولا شريك ، ولا ينسب إليه إلا ما أخبر به سبحانه عن نفسه [١] .

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

وانحراف العقيدة هو ما خرج عن التوحيد ، ومنها الكفر وهو إنكار وجود اللَّه سبحانه ، مثل ما تتبناه بعض الفلسفات المادية الملحدة التي ترى أن المادة هي أصل الكون دون موجد أو خالق ، والشرك وهو اعتقاد الإنسان بوجود شريك للَّه ﷻ في خلقه .

---

(١) أبو جعفر الطحاوي : متن العقيدة الطحاوية ، الرياض ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، د . ت ، (ص٣ ، ٤) .

obeikandl.com

– **انحراف في العبادة** : لا يُعبد اللَّهُ سبحانه إلا بما شرع ، فهو سبحانه الذي يحدد كيف يُعبَد ، وبالتالي فالانحراف في العبادات هو قصد غير اللَّه سبحانه بالعبادة مثل عبدة الأصنام أو النجوم أو النار أو غير ذلك من المخلوقات ، أو عبادته سبحانه بغير ما شرع ، وذلك بابتداع أشياء في العبادات لم يأمر اللَّه سبحانه بها أو التبديل فيها أو ترك عبادات أمر اللَّه سبحانه بها ؛ فقد حدد اللَّه ﷻ ما يجب أن يعبد به ، ووضع لنا رسولهُ القواعد التطبيقية لكل من هذه العبادات التي تيسِّر لنا هذا الاتباع ، وقد حدد الرسول ﷺ هذه العبادات في الحديث الصحيح : « **بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا اللَّه ، وأن محمدًا رسول اللَّه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان** » [1] ، وقد نهى الرسول ﷺ عن البدع فكل بدعة ضلالة ، والبدعة هي أن يحدث الإنسان في الدين ما ليس فيه .

ب – انحراف في علاقة الإنسان بالإنسان :

والانحراف في علاقة الإنسان بالإنسان هو إتيان الإنسان لما حرمه اللَّه عليه في حق أخيه الإنسان ، فكل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه ، كما أن سبابه واغتيابه وهجره ، والسخرية منه مما حرمه اللَّه ، فالمسلم من سَلم المسلمون من لسانه ويده ، ولا يُسلِم من لا يأمن جاره بوائقه أي أذاه ، ولذلك سن اللَّه سبحانه الحدود لعقاب من يعتدي على حرمات الناس ، فجعل القتل جزاء من يقتل متعمدًا ، وجعل الجروح قصاص ، فالعين بالعين ، والسن بالسن ، وجعل قطع اليد عقوبة السارق ، والرجم عقوبة الزاني المحصن ، والجلد والتغريب عقوبة الزاني غير المحصن ، والقتل والصلب جراء الحِرابة ، والجلد عقوبة رمي المحصنات بالسوء ، فهذه كلها خروج على حدود اللَّه وانحراف عنها .

جـ – انحراف في علاقة الإنسان بسائر خلق اللَّه :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان : ٢٠] .

فقد سخر اللَّه للإنسان أجناسًا عديدة من الخلق من حيوان ونبات وجماد وجعلها في خدمته تمده بما يحتاج إليه من مأكل ومشرب وملبس ومأوى ، وأمره بأن يستخدمها في طاعة اللَّه وأن يشكر اللَّه على نعمه وأن يرعى اللَّه فيها .

---

(١) أخرجه البخاري عن ابن عمر .

والانحراف في علاقة الإنسان بخلق اللَّه من الحيوانات يتضمن التقصير في رعايتها وإطعامها وسقيها ، وتحميلها ما لا تطيق ، وفي الأثر أن امرأة دخلت النار بسبب قطة حبستها ، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ، أما النباتات فالانحراف يتضمن إتلافها دون حاجة ، والسفه والتبذير في استخدامها ، ومنعها عمن يحتاج إليها ، فإذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها .

والناس شركاء في ثلاث : الماء ، الكلأ ، والنار ، وأما الجمادات فالانحراف في استخدامها يتضمن السفه والتبذير ومنعها عمن يحتاج إليها واستخدامها في معصية اللَّه .

٢ - تصنيف الانحراف طبقًا لمدى ظهوره :

أ – الانحرافات الظاهرة :

وهي أنماط السلوك الظاهر التي يمكن للآخرين أن يدركوها بحواسهم وأن يكونوا شهودًا عليها ويمكن إثباتها وإقامة الدليل عليها ، وتنقسم بدورها إلى قسمين هما :

– **انحرافات اللسان** : يقول اللَّه سبحانه : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] .

ويقول رسول اللَّه ﷺ : « **إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان اللَّه لا يُلقي لها بالًا يرفعه اللَّه بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط اللَّه لا يُلقي لها بالًا يهوى بها في جهنم** » (١) .

فكل كلام الإنسان محسوب عليه ومحاسب عليه أيضًا ، والسواء في هذا ألَّا يتكلم الإنسان إلَّا بخير وأن يصمت عما سوى ذلك من اللغو وهو الكلام عن سفاسف الأمور ، وفي ذلك يقول رسول اللَّه ﷺ : « **من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت ...** » (٢) .

وانحرافات اللسان عظيمة الخطر ، فقد قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب** » (٣) ، ويؤدي عدم حفظ الإنسان لسانه إلى كبه على وجهه في النار .

وانحرافات اللسان عديدة ونذكر منها :

– **الغِيبة** : وهي أن يذكر الإنسان إنسانًا آخر بما يكره سواء بنقص في بدنه أو خُلقه

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .
(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .
(٣) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .

أو فعله أو دينه أو دنياه أو حتى في ثوابه وداره وهي ثلاث درجات أخفها الغيبة وهي ذكر أخيك بما تعرفه فيه بنفسك من عيوب ، ثم الإفك وهو ذكر ما بلغك عنه من عيوب لم تعرفها عنه بنفسك ولكنك تنقلها عن غيرك ، وأشدها البهتان وهو ذكر عيوب ونقائص تنسبها إليه وأنت تعلم أنها ليست فيه ، وقد تكون الغيبة بالقول الصريح أو بالإشارة .

ويقول اللَّه سبحانه في الغيبة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

ويقول رسول اللَّه ﷺ : « **ولا يغتب بعضكم بعضًا ، وكونوا عبادَ اللَّه إخوانًا** » (١) .

– **النميمة** : وهي كشف الإنسان لما سمعه من شخص عن شخص آخر مما يكره لهذا الآخر سواء كره هذا الشخص القائل أو المقول في حقه ، مثل أن يقول للشخص الآخر : فلان قال فيك كذا وكذا ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم : ١٠ – ١١] .

ويقول رسول اللَّه ﷺ : « ... **وإن أبغضكم إلى اللَّه المشاؤون بالنميمة ، المفرِّقون بين الإخوان ، الملتمسون للبرءاء العثرات** » (٢) .

– **الكذب في القول والوعد باليمين** : والكذب في القول هو اختلاق أشياء لم تحدث ، وروايتها على أنها قد حدثت أو رواية ما حدث على غير الصورة التي حدث بها . والسواء في هذا ألا يقول الإنسان إلَّا الحق ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل : ١٠٥] .

ويقول رسول اللَّه ﷺ : « **إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار** » (٣) .

ويقول رسول اللَّه ﷺ : « **ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم : إذا حدَّث كذب ؛ وإذا وعد أخلف ؛ وإذا ائتمن خان** » (٤) .

والسواء في هذا ألا يَعِد الإنسان إلا بما تطمئن إليه نفسه ، وأن يربط وفاءه بالوعد

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه الطبري عن أبي هريرة .

(٣) متفق عليه عن أبي بكر الصديق .

(٤) متفق عليه عن أبي هريرة .

أخرجه أحمد والحاكم والبيهقي عن عبد الرحمن بن شبل .

بمشيئة اللَّه ، وأن يبذل كل ما في وسعه للوفاء بالوعد ، وأن يشرح عذره لمن وعد إذا حال دون الوفاء بوعده حائل .

واليمين الكاذبة :

ويطلق عليها أحيانًا اسم اليمين الغَموس ؛ لأنها تَغمس صاحبها في النار ، وهو أن يقسم الإنسان على أمر ، وهو يعلم أنه على غير ما أقسم ، وفي ذلك قول رسول اللَّه ﷺ أنه قال : « **إن التجار هم الفجار** » ، فقيل : يا رسول اللَّه أليس قد أحل اللَّه البيع ؟ قال : « **نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ، ويحدثون فيكذبون** » (١) .

– **اللعن والسب والفحش في القول** : واللعن هو الطرد من رحمة اللَّه ، وذلك بأن ينسب الإنسان اللعن إلى آخر كأن يقول : لعن اللَّه فلانًا ، أو فلان هذا ملعون ، وقد نهى رسول اللَّه عن لعن أي شيء حتى الحيوانات والجمادات « **ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ...** » (٢) .

والسب هو نسبه الصفات القبيحة من شخص إلى شخص آخر ، وقد نهى رسول اللَّه ﷺ عن السب بقوله : « **المتسابان شيطانان يتعاونان ويتعارجان** » (٣) .

والفحش في القول هو التعبير عن الأمور المستقبحة والتي يُستَحَى منها بألفاظ وعبارات صريحة ، والسواء في هذا أن يعبر عنها بالكناية مثل التعبير عن التبول والتبرز بقضاء الحاجة ، وفي النهي عن ذلك يقول رسول اللَّه ﷺ « **إياكم والفحش فإن اللَّه تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش** » (٤) .

كما توجد أنواع أخرى من انحرافات اللسان لا يسمح المجال بعرضها تفصيلًا مثل المراء والجدال وذلك بالاعتراض على كلام الغير بإظهار ما فيه من عيوب تزكيةً للنفس وتحقيرًا للغير ، والتقعر في الكلام وتكلف الفصاحة ، وخوض الإنسان فيما لا يعنيه (٥) .

– **انحرافات الجوارح** : جوارح الإنسان وحواسه جميعها شأنها شأن سائر النعم التي أنعم اللَّه بها على الإنسان في الدنيا مثل المال والجاه والعلم وغيرها يمكن أن تستخدم في

---

(١) أخرجه الترمذي عن ابن عمر .

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود عن عياض .

(٣) أخرجه النسائي والحاكم بن عبد اللَّه بن عمرو .

(٤) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر . د. ت ، (٣/١١٢ – ١٦٣) ، (ص ١١٢ – ١٦٣) .

(٥) أبو حامد الغزالي : مرجع سابق ذكره ، (٣/٣٤٠ – ٤٣٩) .

طاعة اللَّه ويمكن أن تستخدم في معصيته ، والسواء في استخدام الجوارح أن تستخدم فيما هو مباح ، فالعين لا تنظر إلَّا إلى ما أحل لها النظر إليه ، واليد لا تمتد إلَّا إلى ما أحل اللَّه لها من مال ولا تمتد إلى الآخرين إلا بالخير ، والقدم لا تسعى إلَّا في الخير ، والأذن لا تسمع إلَّا ما هو مباح فلا تتجسس ولا تتلصص .

وانحرافات الجوارح عديدة ، وتشتمل على كل الانحرافات التي تجرمها القوانين الوضعية على اختلافها : مثل ، القتل والزنى والسرقة وإتلاف ممتلكات الغير ...إلخ ، بالإضافة إلى أنواع أخرى من الانحرافات التي حرَّمها الإسلام ، مثل : شرب الخمر والربا والنظر إلى ما لم يحل للإنسان أن ينظر إليه .

ب – الانحرافات الباطنة : وهي أنواع من الانحراف التي لا يمكن مشاهدتها بصورة مباشرة مثل الانحرافات الظاهرة ، ولا يمكن إثباتها إلَّا بإقرار ممن يعاني منها ، فهو الذي يستطيع أن يعلم عن وجودها وأن يصفها ، وغالبًا ما تكون مقدمة للانحرافات الظاهرة ، وهي عبارة عن خواطر شر تجمع بين أفكار ومشاعر منحرفة تلح على النفس وتعاودها بين الحين والآخر .. ومن أهمها ما يلي :

– **الكبر** : وهو ظن الإنسان في نفسه أنه خير من الآخرين فيعظِّم نفسه ويحقِر غيره ، وللكبر أنواع متعددة ، فهناك من يتكبر بعلمه ، وهناك من يتكبر بماله ، وهناك من يتكبر بسلطانه ونفوذه ... إلخ ، وإذا استقر الكبر في النفس وتخلقت به ظهرت ثماره على سلوك صاحبه في التكبر ، حيث يتحول من مجرد ظن في نفس صاحبه إلى سلوك يمارسه تجاه الآخرين ، فيضع نفسه في مكان أعلى منهم ويعمد إلى تحقير آرائهم والترفع عن مجالستهم وازدرائهم ، وإقصائهم عن نفسه والأنفة من مساواتهم به [1] ، وقد كان الكبر سببًا في إقصاء إبليس عن رحمة اللَّه لما ظنه من تفوق عنصره وهو النار على عنصر آدم وهو الطين فرفض السجود له لـمَّا أمره اللَّه بذلك .

وقد ورد ذم الكبر والتكبر والمتكبرين فقد قال اللَّه سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر : ٣٥] .

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴾ [النحل : ٢٣] .

---

(١) أخرجه الطبراني عن عائشة .

ويقول رسول اللَّه ﷺ : « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ...** » (١) .

– **الحسد** : هو كراهية الإنسان لنعم اللَّه التي أنعم اللَّه بها على الآخرين وتمنى زوالها عنهم دون أن يضره وجود هذه النعم لديهم ، وفي بيان هذا المعنى يقول رسول اللَّه ﷺ : « **إن لنعم اللَّه أعداء** » فقيل : ومن هم ؟ قال : « **الذين يحسدون الناس على ما آتاهم من فضله** » (٢) .

فالحسد سخط على قضاء اللَّه سبحانه في إنعامه على المحسود ، وإذا انساق الإنسان وراء الحسد قاده إلى البغي وذلك بأن يخرج من حدود تمني زوال النعمة إلى العمل على إزالتها بالفعل ، فقد يدفع الحسد إلى إيذاء المحسود بمختلف الوسائل وذمه وبيان مساوئه .

وفي ذلك يقول رسول اللَّه ﷺ : « ... **وإذا حسدت فلا تَبْغ** » (٣) .

وقد نهى اللَّه سبحانه عن الحسد وأمر بالتعوذ من شر الحاسد ، كما نهى رسوله ﷺ عن الحسد ، فقال : « **الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النارُ الحطبَ** » (٤) .

والسواء في ذلك ألَّا يسخط الإنسان على قضاء اللَّه فهو المنعم المتفضل الذي يؤتي من يشاء من فضله ، وأن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه .

– **سوء الظن** : هو اتهام لا دليل عليه ، ينسب السوء إلى من لا ينسب السوء إليهم عادة ، فهو يرميهم بما ليس فيهم من صفات سيئة أو ينسب إليهم ما لا يرتكبوه من أفعال ذميمة ، ومن ذلك سوء الظن باللَّه سبحانه وعدم الرضى بقضائه وعدم القناعة بما قسم اللَّه له من مال وولد ، وسوء الظن بالناس بنسبة العيوب والنقائص إليهم بينه وبين نفسه والشك في نواياهم وتوقع الشر منهم ، وفي النهي عن سوء الظن يقول اللَّه سبحانه : ﴿ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفتح : ١٢] .

والسواء في ذلك أن يُحسن الإنسان الظن باللَّه سبحانه ويؤمن أنه لا يقضي للمؤمن إلَّا بالخير ، وأن ما يصيبه من خير فمن اللَّه وما يصيبه من شر فمن نفسه ، وأن يحسن الظن بإخوانه المسلمين فلا يستبيح ظن السوء إلا بالمشاهدة أو البيِّنة العادلة ، عليه أن يفسر ما يراه أو تقوم عليه البيِّنة بأحسن تفسير ممكن وأن يلتمس لهم العذر إذا لم يكن

---

(١) أخرجه الطبراني عن ابن عباس .

(٢) أخرجه الطبراني عن حارثة بن النعمان .

(٣) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة .

(٤) أبو حامد الغزالي : مرجع سبق ذكره ، (١٥٠/٣ – ١٥١) .

من الممكن أن يحصله على وجه حسن [١] .

– **الرياء** : هو طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الإنسان صفات الخير من نفسه على غير الحقيقة ، والرياء نوع من الشرك باللَّه ، فالله سبحانه هو مقصود المؤمن في عبادته فإذا عظم الناس في قلب الإنسان ، ورغب في الحصول على منزلة رفيعة في نفوسهم أشركهم مع ربه في قصده من العبادة فحرص على الصلاة والصيام والصدقة أمامهم ولو كان بمفرده ما فعل .

والرياء أنواع ودرجات متعددة فهناك رياء بأصل الدين بأن يظهر الإنسان الإيمان وهو يبطن الكفر ، والرياء بالعبادات ، والرياء بالطاعات ، وقد قال سبحانه في المرائين : ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] .

وقد قال رسول اللَّه ﷺ في ذم الرياء : « **إن اليسير من الرياء شرك وإن اللَّه يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا ، وإن حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة** » [٢] .

والسواء في هذا أن يكون اللَّه هو مقصود المؤمن بأعماله الصالحة ، فإذا تصدق لم تعلم شماله ما أعطت يمينه ولم يفاخر بما فعل ولم يذكره .

وتوجد أنواع أخرى من الانحرافات الباطنة التي لا يتسع المجال لتناولها بالتفصيل ونكتفي بإشارة سريعة إليها ، منها : الانسياق في اتباع الهوى ، والمبالغة في الغضب ، والحقد ، والعجب ، واليأس ، والطيرة ، والجزع ، والطمع ، والبخل [٣] .

٣ - تصنيف الانحراف طبقًا لتوقيت العقوبة عليه :

يمكن تصنيف الانحراف طبقًا لتوقيت العقوبة عليه إلى قسمين هما :

أ – انحرافات لها عقوبة دنيوية :

وتنقسم الانحرافات ذات العقوبة الدنيوية إلى [٤] :

---

(١) أخرجه الطبراني والحاكم عن معاذ بن جبل .

(٢) أخرجه البخاري عن عائشة .

(٣) كمال إبراهيم مرسي : علاقة الانحرافات النفسية الباطنة بالصحة النفسية والجسمية ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي لعلم النفس الحديث ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة (٢٤ – ١٩٨٩/٧/٢٦م) ، (ص ٧) .

(٤) عبد القادر عودة : التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي ، بيروت ، دار الكاتب العربي ، د . ت (١/٧٨ – ٨٠) .

– **انحرافات (جرائم) الحدود** : هي الانحرافات التي تمثل اعتداء على حدود اللَّه ومحارمه ، كما وردت في القرآن والسنة ، وقد حدد الإسلام هذه الانحرافات على سبيل الحصر ، كما حدد عقوبة كل منها لا تزيد ولاتنقص ، وهي الزنى ، والقذف ، وشرب الخمر ، والسرقة ، والحرابة ، والردة ، والبغي ، وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تحديد دقيق لكل منها والعقوبة التي توقع على مرتكبها وكيفية تطبيقها ، والحد حق للَّه فلا يقبل الإسقاط أو العفو من الفرد أو الجماعة . وقد أنَّب رسول اللَّه ﷺ أحد الصحابة عندما أراد أن يشفع في امرأة من بني مخزوم سرقت ، فأمر ﷺ بإقامة الحد عليها قائلًا : « **أتشفع في حدٍّ من حدود اللَّه ؟** » ثم قام فخطب فقال ؛ « **أيها الناس إنما ضلَّ من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم اللَّه لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع يدها** » [١] .

– **انحرافات القَصاص والدية** : وهي الانحرافات التي يعاقب المنحرف على ارتكابها بالاقتصاص منه أو دفع الدية ، وكل من القصاص والدية عقوبة محدودة ومعروفة وليس لها حد أدنى أو أقصى ، وهي من حقوق الأفراد بمعنى جواز العفو عنها ، وهي القتل العمد وشبه العمد والقتل الخطأ والاعتداء الذي لا يؤدي إلى الموت كالجرح والضرب . وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

– **انحرافات التعزير** : التعزير هو التأديب وقد نصت الشريعة الإسلامية على بعض هذه الانحرافات ، ومنها : الربا ؛ وخيانة الأمانة ؛ والسب ؛ والرشوة ، ولم تحدد عقوبة معينة لكل منها كما هو الأمر في النوعين السابقين ، ولكن يوجد حد أدنى وحد أقصى لجرائم التعزير ويترك الحكم بالعقوبة التي تقتضيها مصلحة المجتمع وظروف ارتكاب الانحراف ، ومن أمثلتها في السنة النبوية : السرقة التي لا توجب الحد ، ومماطلة المدين الموسر ، والشطط في تأديب الزوجة والأبناء [٢] .

ب – انحرافات عقوباتها في الآخرة :

توجد في الإسلام انحرافات متعددة لم تحدد لها عقوبات دنيوية ، رغم النص على

---

(١) أخرجه البخاري عن عائشة .

(٢) محمد سليم العوا : في أصول النظام الجنائي الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة دار المعارف ، (١٩٧٩م) ، (ص ٢٤١ – ٢٥٠) .

تحريمها ، وقد توعد اللَّه من يرتكبها بعقوبات أخروية مثل : الكفر ، والنفاق ، والمشي بين الناس بالنميمة ، وسوء الظن ، والغيبة ، وأكل الميتة ولحم الخنزير ، والحسد .

٤ - تصنيف الانحراف طبقًا لطبيعة الفعل المنحرف :

يصنف الفقهاء الانحراف طبقًا لطبيعة الفعل المنحرف إلى [١] :

أ – انحراف بالإتيان :

وذلك بإتيان فعل منهي عنه مثل السرقة والزنى والقتل ، فالمحرمات محدودة حصرًا في القرآن والسنة ولا تحريم إلَّا بنص ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

ب – انحراف بالترك :

وذلك بالامتناع عن أفعال أوجبها اللَّه سبحانه وأمر بإتيانها ، وهذه تنقسم بدورها إلى قسمين : أولهما : أن الامتناع في حدِّ ذاته معصية مثل منع الزكاة وترك الصلاة وعدم بر الوالدين ، فكل هذه الأفعال هو انحراف عن الصراط المستقيم ومعصية للَّه سبحانه ؛ أما النوع الآخر فإن الامتناع في حد ذاته لا يشكل معصية ولكنه يمكن أن يؤدي إلى معصية ؛ فقد حمَّل عمر بن الخطاب قومًا دية رجل استسقى قومًا لم يسقوه فمات من العطش .

٥ - تصنيف الانحراف طبقًا لاتجاهه :

جعل اللَّه سبحانه أمة الإسلام أمة وسطًا ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وتوجد آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية متعددة تحث على التوسط والاعتدال وتنهى عن التطرف سواء بالإفراط أو بالتفريط ، ويمكن تصنيف الانحراف طبقًا لهذا المعيار على النحو التالي :

أ – انحراف بالإفراط :

الإفراط هو البُعد عن الاعتدال والتوسط في اتجاه المبالغة ، والمبالغة أمر غير مستحب

(١) محمد أبو زهرة : الجريمة والعقاب في الفقه الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة دار الفكر العربي ، (١٩٧٦م) ، (١٣٣/١ - ١٣٥) .

في أي أمر وقد نهى الإسلام عن الإفراط وعده انحرافًا شأنه في ذلك شأن التفريط تمامًا حتى لو كان في العبادات ، فقد نهى رسول اللَّه ﷺ مَنْ كان يريد أن يقوم الليل ومَنْ يريد أن يعتزل النساء فلا يتزوج ، ومَنْ يريد أن يصوم الدهر فلا يفطر ، وقال « .. **صم وأفطر وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقًّا ، وإن لعينك عليك حقًّا ، وإن لزوجك عليك حقًّا ، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام ..** » (١) .

ب – انحراف بالتفريط :

ويأتي على النقيض من الإفراط وذلك بالتهاون والتقصير في أداء الإنسان لما أمر اللَّه به ونهى عنه ، مثل : ترك الصلوات المفروضة ، والتهاون في الجهاد في سبيل اللَّه ، وعدم أداء فريضة الحج مع الاستطاعة ، والتقصير فيما كلف به من أعمال ومسؤوليات .

٦ - تصنيف الانحراف طبقًا لجسامة المعصية :

يقول اللَّه سبحانه : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء : ٣١] .

ويتبين من الآية الكريمة أن ما نهى الإسلام عنه يمكن تصنيفه إلى كبائر وسيئات عادية ، وعلى الرغم من القول المأثور لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار ، أي أن التوبة والاستغفار تمسح الذنوب صغيرها وكبيرها ، وإن إصرار الإنسان على معصية ليست من الكبائر يحولها إلى كبيرة ، إلا أننا يمكن أن نصنف الانحراف طبقًا لهذا المعيار إلى :

أ – الكبائر :

ويقصد بها كبائر المعاصي ، ويأتي على رأسها الموبقات السبع وهي : « ... **الشرك باللَّه ، وقتل النفس التي حرم اللَّه إلَّا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتوَّلِّي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات** » (٢) ، ويقصر البعض الكبائر على هذه السبع ، ويتوسع بعضهم حتى يصل بها إلى السبعين ، بحيث يعدون كل ما ورد إنذار أو وعيد في القرآن والسنة بشأنه فهو كبيرة ، ولا يتسع المجال لذكرها على سبيل الحصر ، ونكتفي بذكر أمثلة ، منها : عقوق الوالدين ، منع الزكاة ، الظلم ، الرشوة ، الرياء ،

---

(١) أخرجه البخاري عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص .

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .

المشي بين الناس بالنميمة ، الكذب في القول واليمين .. إلخ [١] .

ب – السيئات (اللمم) :

وهي كل السيئات التي لم يرد ذكرها بين الكبائر ، وقد وردت الإشارة إلى أن الصغيرة تتحول إلى كبيرة مع المداومة والإصرار ، إلَّا أن الصلاة إلى الصلاة ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، والحج إلى الحج ، والعمرة إلى العمرة ، كفارة لما بينهما من الذنوب إذا اجتنبت الكبائر .

رابعًا : خصائص المنظور الإسلامي للانحراف

يتسم المنظور الإسلامي بعدد من الخصائص التي تميزه عن النظريات الوضعية نوجزها فيما يلي :

١ - الاعتماد على القرآن والسنة :

يعتمد المنظور الإسلامي للانحراف اعتمادًا كاملًا على ما نزل في الوحي من اللَّه سبحانه على رسوله من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي ثبتت نسبتها إلى رسول اللَّه ، وعلم اللَّه سبحانه هو علم كامل وصحيح فهو خالق الإنسان ، وهو أعلم بمن خلق ، أعلم بما يصلحه وبما يفسده ، فحين يأمره بشيء فلا بد فيه صلاح له ، وحين ينهاه عن شيء ، فلا بد فيه فساد له ، فلا يخفى عليه شيء ولا يضل ولا ينسى .

وقد وجهت انتقادات قاسية ومتعددة إلى بعض ما شرَّعه اللَّه سبحانه وكانوا يطلقون عليها « الأمور الشيطانية في الإسلام » ويعلنون رفضهم لها في كل مناسبة إلى أن اضطروا صاغرين إلى النزول على ما شرعه اللَّه سبحانه لا إيمانًا باللَّه ، ولكن تحت وطأة المشكلات المتعددة التي لم يجدوا لها حلًّا إلا فيما شرعه اللَّه .

٢ - اتساع دائرة الانحراف :

يتبين بالنظر إلى مفهوم الانحراف وأنواعه التي سبق عرضها مقارنًا بالانحراف بمفهومه الوضعي ، وإن المنظور الإسلامي اللانحراف أكثر اتساعًا وشمولًا حيث تضمن أنواعًا عديدة من الانحرافات غير المتضمنة في المفهوم الوضعي ، فالانحراف في علاقة الإنسان باللَّه بأنواعه ، والانحراف في علاقة الإنسان بسائر الخلق ، والانحرافات الباطنة بأنواعها المختلفة لا يتضمنها المنظور الوضعي للانحراف .

---

(١) للمزيد من التفاصيل راجع شمس الدين الذهبي : كتاب الكبائر ، القاهرة ، مكتبة دار الفكر ، د. ت .

ويؤدي توسيع دائرة الانحراف إلى تهذيب أساليب التعامل بين الناس وبعضهم ، وإلى تقليل ما يحدث من انحرافات في المجتمع إلى حدٍّ بعيد ؛ وذلك لأن العديد من الانحرافات التي يحرِّمها الإسلام في علاقة الإنسان بسائر الخلق والانحرافات الباطنة بأنواعها المختلفة لا يتضمنها المنظور الوضعي للانحراف .

ويؤدي توسيع دائرة الانحراف إلى تهذيب أساليب التعامل بين الناس وبعضهم ، وإلى تقليل ما يحدث من انحراف في المجتمع إلى حدٍّ بعيد ، وذلك أن العديد من الانحرافات التي يحرمها الإسلام ولا تمنعها القوانين الوضعية تعتبر مقدمات لأنواع أكبر من الانحراف ، فنظر الإنسان إلى المرأة الأجنبية وجلوسه وتعامله معها غير محرم في القوانين الوضعية ، على حين أنه مقدمة للاتصالات الجنسية غير المشروعة والخيانة الزوجية وغيرها ، لذلك فقد حرمه الإسلام ، كما أن الخمر غير محرمة في معظم القوانين الوضعية على الرغم مما تؤدي إليه من انحرافات في حين أن الإسلام يحرمها .

ويرجع توسع الإسلام في التحريم إلى عدد من الأسباب منها ما يلي :

– إهمال القوانين الوضعية لعلاقات أساسية في حياة الإنسان مثل علاقته بربه فهذه لا تدخلها في اعتبارها ، كما أن معظم القوانين الوضعية لا تجرم الانحراف في علاقة الإنسان مع الحيوانات والجمادات .

– عجز القوانين الوضعية عن إثبات بعض الانحرافات أمام المحاكم وإقامة الدليل عليها ؛ لأنها انحرافات تدور داخل نفس الإنسان ولا يمكن إثباتها والتدليل عليها إلَّا للمنحرف نفسه ، ولكن اللَّه سبحانه الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يستطيع إثبات هذه الانحرافات والتدليل عليها ، لذلك أنزل الوحي بتحريمها .

– انحراف واضعي القوانين وسيرهم خلف أهوائهم تجعلهم يبيحون بعض الانحرافات ؛ لأنهم يريدون الاستمتاع بها .

٣ - العدل :

المُحِلُّ والمحرِّم في الإسلام هو اللَّه سبحانه ، وهو عدل ، وعدله كامل ومطلق ، فلا مصلحة له ولا هوى في تحليل أو تحريم ، ولكنه سبحانه أحلَّ للإنسان ما يصلحه ويحقق له سعادة الدنيا والآخرة ، وحرم عليه ما يفسد عليه دنياه وآخرته ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ

وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

وشرع اللَّه سبحانه لا يتحيز لجماعة ولا لطبقة ولا لفئة دون أخرى ، على حين أن القوانين الوضعية عادة ما تنحاز لصالح الجماعات والطبقات والفئات القوية في المجتمع على حساب الفئات الأخرى (١) .

٤ - الثبات :

يتميز التحديد الإسلامي للانحراف بالثبات والاستقرار ، فنصوص الشريعة ثابتة دون تغيير أو تبديل منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنًا وحتى تقوم الساعة ، فلا تحريم إلَّا بنصٍّ ، والنصوص ثابتة .

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥] .

ويساعد استقرار تحديد ما هو مباح وما هو ممنوع على الالتزام بهذه الحدود ، على حين أن كثرة التغيير وإباحة أمور معينة ثم منعها ثم إباحتها يسقط هيبة هذه الحدود ويغري البعض على الخروج عنها ، كما أن تحريم أمر معين في مجتمع ما على حين يعلم أفراد هذا المجتمع بإباحته في مجتمع آخر يشكك في قوة اقتناعهم بالمصلحة في هذا المنع ، هذا بالإضافة إلى أن اختلاف حدود المنع والإباحة من مجتمع إلى آخر يسبِّب مشكلات عديدة للأفراد عند سفرهم وانتقالهم من مجتمع إلى آخر ، فقد يمارس فعلًا مباحًا في بلده ممنوعًا في البلد التي انتقل إليها مما يسبِّب العديد من المشكلات .

خامسًا : العوامل المؤدية إلى حدوث الانحراف

يقول اللَّه سبحانه : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٢ ، ٣] .

فقد شاء اللَّه سبحانه أن يجعل الحياة الدنيا موضعًا لامتحان الإنسان واختباره ، وكل موقف يعيشه الإنسان هو سؤال من أسئلة هذا الاختبار في بيته ، في مدرسته ، في عمله ، في الشارع ... إلخ ، وجعل اللَّه سبحانه جوهر هذا الاختبار هو اختبار الإنسان بين الحلال و الحرام .

---

(١) عبد القادر عودة : مرجع سبق ذكره ، (ص ١٥ - ٢٧) .

والسؤال الجوهري هنا هو : لِمَ يكون سلوك البعض سويًّا بينما يجنح البعض الآخر إلى الانحراف ؟

نلخص الإجابة على هذا السؤال في النقاط التالية :

١ – أودع اللَّه سبحانه في الإنسان فطرة التوحيد التي تجعله يتوصل بتأمل فيما حوله وبعقله المجرد إلى أصل الإيمان بوجود خالق لهذا الكون ، وتجعله يستحسن الحسن ويستقبح القبيح ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠] .

٢ – لم يترك اللَّه الإنسان معتمدًا على فطرته فقط ، بل أرسل له الرسل والرسالات التي تدله على وجود الخالق وتحدد له ما ينبغي عليه أن يفعله وما ينبغي أن يتركه ، ما هو سَويٌّ وما هو منحرف ، وفي ذلك يقول سبحانه : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

٣ – ترك اللَّه سبحانه للإنسان حرية الاختيار بعد أن هيَّأ له أسبابه وأخبره بأنه محاسب على سلوكه الإرادي ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٢٩] .

فالإنسان حر مختار محاسب على سلوكه الإرادي ، ولإرادته الحرة الدور الرئيس في تحديد نوعية سلوكه ، فهي مصدر أول وأميل لنية الإنسان واختياراته ، ومن ثَمَّ لسلوكه . وقد أعفى اللَّه سبحانه الإنسان من العقوبة على الخطأ إذا لم تتوفر لديه مقومات الاختيار الحر ، فلا إثم على المكروه أو المضطر ، ولا إثم على من فقد عقله ، ولا على ضعيف العقل ، ولا على الصغير الذي لم يصل بعد إلى سن البلوغ ولم تتكامل قدراته بعد .

٤ – تتحدد بِناءً على الاختيار الحر للإنسان صلته باللَّه سبحانه إما مؤمن بخالق هذا الكون ومدبره ، وإما كافر باللَّه أيًّا كان اعتقاده ، ويعتبر هذا الاختيار أمرًا جوهريًّا مؤثرًا على سلوك الإنسان في كافة أمور حياته .

٥ – هيأ اللَّه سبحانه القوانين والسنن الكونية في الحياة الدنيا بما يساعد الإنسان على السير في الطريق الذي اختاره لنفسه أيًّا كان اختياره ، وبحيث تستجيب له هذه القوانين والسنن بقدر اجتهاده في السعي ، فهي تعين المؤمن الملتزم بطاعة اللَّه على المزيد من

الطاعة وتعين الكافر والمنافق على المعصية ، الأول بقدر اجتهاده في الطاعة ، والثاني بقدر اجتهاده في المعصية .

٦ – تترك علاقة الإنسان باللَّه وسلوكه في الاتجاه الذي يختاره آثارًا في قلبه تتزايد مع مرور الوقت وتشكِّل بدورها عاملًا تراكميًّا مساعدًا يدعم سير الإنسان على الطريق الذي اختاره ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن : ١١] .

فمن يؤمن باللَّه يثبته اللَّه على الإيمان [١] ، في هذا المعنى يقول اللَّه سبحانه في الحديث القدسي : « .. **وإن تقرب إليَّ بشبرٍ تقربت إليه ذراعًا ، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة** » [٢] . فمن سلك سبيل الطاعة والتقرب إلى اللَّه يُحبِّب اللَّه إليه الطاعة ويعينه عليها ويوفقه إلى المزيد منها [٣] .

وإذا اختار طريق المعصية والكفر تتراكم آثار المعاصي على قلبه كل منها على شكل نقطة سوداء ، ثم تتكاثر إلى أن تتصل ببعضها البعض ، فذلك الران الذي يتزايد إلى أن يطبع على القلب ، ويصبح محجوبًا عن اللَّه بالكلية [٤] ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأعراف : ١٠٠] .

ويقول رسول اللَّه ﷺ : « **القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج ، فذلك قلب المؤمن ، وقلب أسود منكوس ، فذلك قلب الكافر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، فذلك قلب المنافق ، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق** » [٥] .

٧ – تُرجع النظرياتُ المعاصرة الانحرافَ إلى مجموعة من العوامل منها ما يتصل بشخص المنحرف ، ومنها ما يتصل بالمتغيرات البيئية المحيطة به وتنظر إلى هذه العوامل على أنها متغيرات مستقلة ، وإلى السلوك الانحرافي على أنه متغير تابع ، وكأن الإنسان مجرد متلقٍّ للتأثير ، ولكن الأمر لا يستقيم على هذا النحو فما تشير إليه هذه النظريات

---

(١) أبو عبد اللَّه الأنصاري القرطبي : مرجع سبق ذكره ، مجلد ١٨ ، (ص ١٣٩ – ١٤٠) .
(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .
(٣) الأحاديث القدسية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) ، (ص ٦٥ ، ٦٦) .
(٤) أبو حامد الغزالي : مرجع سبق ذكره ، المجلد الثالث ، (ص ١٢ ، ١٣) .
(٥) أخرجه أحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري .

على أنه عوامل مستقلة إنما هو عوامل وسيطة تأثيرها محايد يتوقف على طبيعة علاقة الشخص المتعرض لهذا التأثير .

٨ – يزيد الإيمان وينقص ، فهو يتفاوت قوة وضعفًا من شخص إلى آخر ، ولدى نفس الشخص من وقت إلى آخر ، ويكون الانحراف عادة في الأوقات التي يضعف فيها الإيمان ، فلا يزني الزاني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق وهو مؤمن ، وإذا عاد إليه إيمانه تاب ؛ ولذلك فاحتمال عودة المؤمن للانحراف ضعيفة ، وإذا بلغ الإيمان منتهاه من القوة وصل بالإنسان إلى درجة الإحسان فهو يعبد اللَّه كأنه يراه ، ومن يصل إلى هذه الدرجة يصعب ارتكابه للانحراف ؛ فشعور الإنسان بأن اللَّه يراه يجعل بينه وبين الانحراف مانعًا قويًّا ، ذلك أن الخوف من عذاب اللَّه والخجل من مطالعة اللَّه له وهو يعصيه والطمع في ثوابه يدفع الإنسان إلى التمسك الدقيق بصراط اللَّه المستقيم وعدم الخروج عنه .

٩ – قد توجد عوامل تدفع الإنسان المؤمن إلى الانحراف مثل وجوده في وسط منحرف ، أوتعرضه لنقص كبير في إشباع حاجاته الأساسية أو لإغراء منصب أو جاه أو علاقة أساسية في حياته ، وبقدر قوة إيمان من يتعرَّض لهذا الموقف بقدر صموده وعدم وقوعه في الانحراف وأيضًا بقدر ما يعده اللَّه سبحانه له من أجر ، وفي هذا المعنى يقول رسول اللَّه ﷺ : « **سبعة يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلَّا ظله .. » وذكر من بينهم : « إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة اللَّه ، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال ، فقال : إني أخاف اللَّه تعالى** » [١] ، ويقول أيضًا : « **إن اللَّه يحب الفقير المتعفِّف** » [٢] .

١٠ – بناء على ما تقدم يمكننا القول إنه لحدوث الانحراف لا بد من وجود عاملين في وقت واحد هما :

أ – ضعف الإيمان أو عدم وجوده بالمرة ، وبذلك يضعف ويزول الوازع الذي قد يمنع الإنسان من الانحراف ، وقد ثبت من واقع الدراسات الإمبيريقية وجود علاقة عكسية دالة إحصائيًّا بين مستوى التدين والسلوك الإجرامي [٣] .

ب – وجود مراحل محركة ومشجعة على الانحراف سواء كانت هذه العوامل

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه ابن ماجه عن عمران بن حصين .

(٣) صالح بن إبراهيم الصنيع : العلاقة بين مستوى التدين والسلوك الإجرامي ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم علم النفس ، (١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م) ، (ص ٣٦٨ – ٥٠٦) .

راجعة إلى المنحرف مثل إلحاح شهوة أو حاجة غير مشبعة ، أو راجعة إلى الظروف المحيطة به مثل رفاق السوء أو انتشار الانحراف في المجتمع ، أو غيرها .

١١ – ترك اللَّه سبحانه باب التوبة مفتوحًا للإنسان إذا أراد أن يعدل من اختياراته في أي وقت إلى أن يغرغر أو أن تشرق الشمس من مغربها ، ومتى استوفت التوبة شروطَها فإنها تجُبُّ ما قبلها ، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

سادسًا : المنظور الإسلامي لمواجهة الانحراف

تتكامل جوانب الشريعة الإسلامية مع بعضها البعض تكاملًا محكمًا يقلل من حدوث الانحراف في المجتمع إلى أدنى حد ممكن ، فمن هذه الجوانب ما يستهدف الوقاية من الانحراف وتثبيت أفراد المجتمع على الصراط المستقيم ، ومنها ما يعمل على منع وقوعه عن طريق إزالة الأسباب التي يمكن أن تؤدي إليه ، ومنها ما يستهدف علاج من وقع في الانحراف من أفراد المجتمع وتطهيره من آثار ما وقع فيه من انحراف .

ويقتضي الأمر التطبيق المتكامل للشريعة الإسلامية بجوانبها المختلفة سواء كان ذلك على مستوى أفراد المجتمع أو جماعاته أو المجتمع ككل ؛ وذلك نظرًا للتساند القوي بين هذه الجوانب ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٥] .

ويمكن تلخيص هذه الجوانب فيما يلي :

أولًا : الوقاية من الانحراف .

ثانيًا : إزالة الأسباب التي يمكن أن تؤدي إلى الانحراف .

ثالثًا : علاج حالات الانحراف .

وسوف نتناولها فيما يلي بشئ من التفصيل مع التركيز على دور الخدمة الاجتماعية في كل منها .

١ - الوقاية من الانحراف :

وتتضمن مجموعة من القواعد التي تنظم حياة الفرد والأسرة في المجتمع ، ونكتفي هنا بمجرد العرض الموجز على النحو التالي :

١ – أن يتم الإنجاب من خلال الأسرة :

جعل الإسلام الأسرة التي تتكون عن طريق الزواج المشروع هي الوعاء الوحيد لإنجاب الأطفال ، فالعلاقة الوحيدة المشروعة للإنجاب هي العلاقة الزوجية ، وفي ذلك يقول رسول اللَّه ﷺ : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ..** » [١] .

ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية في هذا الصدد في المعاونة على وضع حديث رسول اللَّه ﷺ موضع التطبيق من خلال شرح أهمية الزواج المبكر في إحصان الشباب وتحقيق الإشباع المشروع للحاجة الجسمية حتى لا تكون ضاغطًا ملحًّا ، قد يدفع البعض إلى الانحراف ، كما أن من مسؤوليات مهنة الخدمة الاجتماعية من خلال المؤسسات المهنية العمل على إزالة المعوقات الاجتماعية التي تحول دون الزواج المبكر لمن يستطيع ، مثل القوانين الموجودة في بعض البلاد الإسلامية لوضع حد أدنى مرتفع لسن الزواج يمنع من وصل إلى مرحلة الشباب ويستطيع تحمل أعباء الزواج من الزواج لعدم بلوغه هذه السن بعد ، والعمل على محاربة العادات التي تعوق الزواج مثل المغالاة في المهور والأثاث ولوازم الزواج ، مما يشكل عائقًا أمام أعداد كبيرة من الشباب .

٢ – ضمان صلاحية الأسرة لأداء وظائفها :

وضع الإسلام مجموعة من التوجيهات التي يؤدي الالتزام بها إلى ضمان صلاحية الأسرة لتنشئة أطفالها تنشئة صالحة ، حتى يشبوا متمسكين بصراط اللَّه المستقيم يصعب انحرافهم عنه ، ومن هذه الضوابط ما يلي [٢] :

أ – **حسن اختيار الشريك** : يقول رسول اللَّه ﷺ : « **تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك** » [٣] . ويقول : « **إذا جاءكم من ترضون دينه ، فزوجوه إلَّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** » [٤] .

ومن ينشأ مثل هذه النشأة لن يقع في الانحراف ، وفي هذا المعنى يقول الحق سبحانه :

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة .

(٢) محمد عبد اللَّه عرفة : الأسرة المسلمة والوقاية من الانحراف ، بحث ضمن أعمال ندوة معالجة الشريعة الإسلامية لمشاكل انحراف الأحداث ، الرياض ، المركز العربي للدراسات الأمنية ، (١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م) ، (ص٦١ – ٩٧) .

(٣) متفق عليه عن أبي هريرة .

(٤) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة .

﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٨] .

فأهل مريم ينكرون عليها حملها بغير زواج ؛ لأنها نشأت بين أب طيب وأم طيبة .

كما يشترط الإسلام الكفاءة بين الزوجين وأن يكون الزواج بالاختيار الكامل بين الشريكين : « **فلا تُنكَح الأيِّمْ حتى تُسْتَأمَر ولا تُنكَح البكرُ حتى تُستأذن ..** » [١] . ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية في هذا الصدد في العمل على التعريف بالمواصفات الإسلامية في شريك الحياة بين أفراد المجتمع عمومًا وبين المقبلين على الزواج بصفة خاصة ، كجزء من إعدادهم لممارسة الحياة الأسرية الزواجية ، وبيان الخطورة المترتبة على مخالفة ذلك ، وبيان فساد بعض العادات السائدة في إرغام الشاب أو الفتاة على الزواج من شخص على غير رغبته ، لأي اعتبارات كانت والعمل على مساعدة الحالات التي تعاني من مثل هذه المشكلات على التغلب عليها .

ب – تحديد القيادة في الأسرة : ونظرًا لأهمية وجود الاستقرار والوئام في حياة الأسرة ، فقد حدد الإسلام قائد هذه الأسرة في شخص الزوج ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾ [النساء: ٣٤] .

ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية في هذا الصدد في شرح هذه الأمور للشباب المقبلين على الزواج ولأفراد المجتمع بصفة عامة ، وبيان أن هذا هو الوضع السوي للأسرة المسلمة ، ومساعدة الأسر التي تعاني من مشكلات في هذا الصدد على المودة إلى الوضع الإسلامي الصحيح .

جـ – تفصيل الحقوق والواجبات في الأسرة : حظيت الأسرة باهتمام بالغ في التشريع الإسلامي فيما يتصل بتحديد الحقوق والواجبات بين أفرادها حتى لا يحدث نزاع حول هذه الحقوق والواجبات فتفقد الأسرة صلاحيتها لتنشئة صغارها .

وبحيث تصبح الأسرة مكانًا حافلًا بالبر والحب وطاعة اللَّه وينشأ أبناؤها على صراط اللَّه المستقيم بعيدين عن احتمالات الانحراف ، كما كفل الإسلام حقوقًا محددة للأطفال في داخل الأسرة منها الإرضاع ، والنفقة ، والمساواة بين الابن وبين إخوته في المعاملة [٢] .

ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية في تعريف أفراد المجتمع بما على كل منهم من

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .

(٢) محمد عبد اللَّه عرفة : مرجع سبق ذكره ، (ص ٨٤ – ٩٣) .

واجبات وما له من حقوق في أسرته ، ومساعدة من يعاني من مشكلات في أداء مسؤولياته الأسرية على أداء هذه المسؤوليات كما حددها الإسلام ، ولا يقتصر أداء هذا الدور على مجال بعينه من مجالات الخدمة الاجتماعية ، ولكنه يمتد إلى مجالات متعددة ، منها : الخدمة الاجتماعية الأسرية ، والخدمة الاجتماعية المدرسية ، والخدمة الاجتماعية في مجال المنحرفين .

٣ – الحرص على استمرار الحياة الأسرية :

حرص الإسلام على استمرار الحياة الأسرية ما دامت الأسرة قادرةً على أداء واجباتها نحو أفرادها ، فقد حث الزوج على الصبر على زوجته وأوصاه بها خيرًا وأمره بأن يعاشرها بالمعروف ، فالمؤمن لا يكره زوجته المؤمنة ، فإن كره منها طبعًا أحب فيها طباعًا أخرى ، وقد يجعل اللَّه فيها خيرًا كثيرًا رغم كراهيته لها ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩] . والمعاشرة بالمعروف لا تقتصر على مجرد كف الأذى عن الزوجة ، بل تتضمن احتمال الأذى منها والحلم عليها [١] ، كما جعل اللَّه سبحانه الملجأ الأخير إذا استحالت العشرة بين الزوجين وهو الطلاق أبغض الحلال عنده حتى لا يتم اللجوء إليه إلا عند الضرورة القصوى . ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية في مساعدة الأسر التي تعاني من مشكلات على التغلب على هذه المشكلات وتجاوزها ، وبيان النهج الإسلامي في العلاقات الأسرية ، وفي التغلب على المشكلات الأسرية .

٤ – الطلاق بالمعروف :

شرع اللَّه سبحانه الطلاق كملجأ أخير ، إذا استحالت العشرة بالمعروف بين الزوجين ، وقد حدد اللَّه سبحانه حقوق كل من الزوجين عند الطلاق حتى يكون الانفصال كريمًا لا يسيء إلى أي من الزوجين ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ ﴾ [البقرة: ٢٣١] .

ويمكن للخدمة الاجتماعية أن تلعب دورًا كبيرًا في هذا الصدد ، يتمثل في تنفيذ التوجيه الإسلامي الكريم بأن يتم الطلاق بالمعروف ، وذلك عن طريق المساعدة في حل المشكلات المترتبة على الطلاق مثل حصول الزوجة على حقوقها المتمثلة في مؤخر

(١) أبو حامد الغزالي : مرجع سبق ذكره ، (٤٣/٢) .

الصداق والنفقة ومساعدة المطلقين على الاتفاق على حضانة أطفالهما ، وتنظيم رؤية كل من الزوجين لأطفاله في حضانة الزوج الآخر ؛ وذلك نظرًا لما تتركه هذه المشكلات وغيرها من آثار سيئة في نفس الأطفال .

٥ – رعاية الصغير الذي يفتقد الأسرة المتكاملة :

حرص الإسلام على توفير الرعاية للصغير الذي يفتقد ما توفره الأسرة المتكاملة لطفلها من رعاية بين أبويه بأن جعل حقوق هذا الصغير على سائر أفراد المجتمع الذي يعيش فيه ، فالصغير الذي يفتقد الأسرة المتكاملة إما يتيم وإما لقيط ، وقد كفل الإسلام لكل منهما حقوقه على نحو يضمن له تنشئة اجتماعية إسلامية سوية .

فقد أمر اللَّه سبحانه بالإحسان إلى اليتامى في آيات متعددة ، وجاء في الحديث الصحيح عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : « **أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا** » وأشار بالسبابة والوسطى [١] .

وكفالة اليتيم حجاب من النار ، وخير بيت من بيوت المسلمين بين يكرم فيه اليتيم ، كما نهى اللَّه سبحانه عن أكل مال اليتيم ، وأمر بإعطائهم من الصدقات ، وجعل لمن يمسح على رأس اليتيم رحمة به حسنات بعدد شعر رأس اليتيم [٢] .

كما جعل الإسلام نفقة اللقيط على بيت المال ، على أن توكل رعايتُه إلى أحد المسلمين المشهود لهم بالتقوى والصلاح حتى ينشأ نشأة صالحة [٣] .

كما وضع الإسلام نظام الولاية على النفس والمال وجعلها في أقارب العصب أي الأقارب من جهة الأب الأقرب فالأقرب ، وذلك حتى يقوم الولي على رعاية الصغير وتنشئته تنشئة صالحة ، واشترط لذلك أن يكون أمينًا على الصغير في نفسه ودينه وماله [٤] ، حفظًا للصغير حتى ينشأ نشأة طيبة على صراط اللَّه المستقيم تبعده عن الانحراف .

وللخدمة الاجتماعية دور كبير في هذا الصدد نوجزه في النقاط الآتية :

– الإسهام في تنفيذ نظام الولاية على النفس من حيث متابعة رعاية الولي لليتيم من

---

(١) أخرجه البخاري والترمذي عن سهل الساعدي .

(٢) عزمي صالح : الرعاية الاجتماعية لليتامى في الإسلام ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م) ، (ص ٢٢ – ٣٥) .

(٣) المرجع السابق ، (ص ٣٥ – ٤١) .

(٤) مناع خليل القطان : التربية الإسلامية والوقاية من انحراف الأحداث ، بحث ضمن أعمال ندوة معالجة الشريعة الإسلامية لمشاكل انحراف الأحداث ، مرجع سبق ذكره ، (ص ١١٤ – ١١٦) .

الناحية الاجتماعية ، والتأكد من حسن كفالته لليتيم وتنشئته نشأة إسلامية صالحة ، والاطمئنان إلى عدم تعرضه لإساءة المعاملة أو الاستغلال أو الانحراف من أي نوع .

– تصميم وتنفيذ برامج كفالة الأيتام في المجتمع ، بناء على مواصفات معينة يتم وضعها ومتابعة رعايتها الأيتام وتقديم المشورة والتوجيه لها حتى تقوم بالرعاية على وجهها الأكمل ومساعدتها على حل ما يواجهها من مشكلات إلى أن يصل اليتيم إلى سن البلوغ ، ثم مساعدته على أن يشق طريقه كمواطن صالح في المجتمع .

– الدعوة إلى تعديل القوانين التي توجد في بعض البلاد الإسلامية والتي تتصل بتنظيم رعاية الأيتام واللقطاء بما يخالف أحكام الشريعة الإسلامية مثل التبني وغيره .

٢ - منع بعض العوامل التي قد تؤدي إلى الانحراف :

سواء كانت هذه العوامل تتعلق بفرد في المجتمع أو ببعض أفراده أو جماعاته أو على مستوى المجتمع كله ، ونوضح ذلك بإيجاز على النحو التالي :

أولًا – إشباع الحد الأدنى من الحاجات الأساسية :

يعتبر التكافل الاجتماعي بين أفراد وفئات المجتمع المسلم من الوسائل الأساسية لإزالة أسباب الانحراف من المجتمع .

وعلى الأخصائيين الاجتماعيين مسؤولية كبيرة بحكم طبيعة عملهم في هذا الصدد ، فهم مسؤولون عن الفئات والجماعات بل والأفراد الذين يعانون من نقص في إشباع حاجاتهم الأساسية ويمكن إيجاز دورهم على النحو الآتي :

أ – الأخصائيون الاجتماعيون هم أكثر المهن اتصالًا بالفئات المحرومة والضعيفة التي تعاني من مشكلات أو من نقص في إشباع حاجاتها الأساسية ، وعلى الخدمة الاجتماعية كمهنة من خلال تنظيماتها المهنية والعلمية ، وعلى الأخصائيين الاجتماعيين – كأفراد – إعداد هذه الدراسات على الوجه المناسب للتعريف بمشكلات وحاجات هذه الفئات ، والعمل على نشرها من خلال القنوات المهنية كالمجلات العلمية والمؤتمرات والندوات العلمية وغيرها ، فهم رعاة ، وهذه الفئات هي جزء من رعيتهم يسألهم اللَّه سبحانه عنها .

ب – مساعدة هذه الفئات والجماعات على معرفة حقوقها والوعي بمشكلاتها ، وتعريفهم بالوسائل المناسبة للحصول على هذه الحقوق ومساعدتهم على ذلك .

جـ - التعاون مع أصحاب هذه الحاجات ومع من يعاون من المشكلات في رفع حاجاتهم المدعمة بالدراسات العلمية التي تحدد أبعاد هذه الحاجات وطرق إشباعها إلى الجهات التي بيدها إصدار القرارات بإشباع هذه الحاجات ، كما أن على الأخصائيين الاجتماعيين أن يعتبروا أنفسهم مستشارين لولاة الأمر على اختلاف مستوياتهم فيما يتصل بأمور الرعاية الاجتماعية لهذه الفئات .

د - العمل على إنشاء المؤسسات المهنية والأهلية التي تعمل على إشباع هذه الحاجات مثل اقتراح مؤسسات معنية لم تكن موجودة من قبل أو إضافة خدمات جديدة إلى مؤسسات قائمة لم تكن تقدم مثل هذه الخدمات أو إضافة فئات جديدة للتمتع بخدمة قائمة لم تكن تتمتع بهذه الخدمة من قبل ، أو تشجيع إنشاء الجمعيات الأهلية الخيرية التي تعمل على إشباع هذه الحاجات .

ثانيًا - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خطًا أساسيًا من خطوط الدفاع ضد الانحراف في المجتمع ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه في بيان أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في منع الانحراف :

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة : ٦٣] .

وقد أورد اللَّه سبحانه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أنه سبب من أسباب كون المسلمين خير أمة أخرجت للناس ، وأمرهم نصًا بإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

ويمكن إيضاح دور الأخصائي الاجتماعي في هذا الصدد بإيجاز على النحو الآتي :

أ - على مستوى المجتمع العام يمكن للأخصائي الاجتماعي أن يدعو إلى إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوضيح الآثار الاجتماعية الحميدة التي تعود على المجتمع بالأخذ به ، والأخطار المترتبة على تركه .

ب - على مستوى المجتمع المحلي يستطيع الأخصائي الاجتماعي أن يساهم في تنظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويمكن الاستعانة في ذلك بالمؤسسات القائمة في المجتمع مثل المسجد والإدارة المحلية والمؤسسات التعليمية وغيرها .

جـ – على مستوى المؤسسة التي يعمل فيها الأخصائي الاجتماعي فهو مسؤول مباشرة عن إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنظيمه وتحديد من يقومون به ، وذلك بالتعاون مع المسؤولين الآخرين بالمؤسسة .

د – على مستوى العملاء الذين يقوم الأخصائي الاجتماعي بتقديم الخدمة المباشرة إليهم يصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزءًا من المساعدة المقدمة للعملاء في سائر مجالات الخدمة الاجتماعية بصفة عامة وفي مجال العمل مع المنحرفين بصفة خاصة .

ثالثًا – منع الظلم :

يقول اللَّه سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] .

فالظلم انحراف قد يؤدي تعرض الإنسان له إلى رده بظلم مماثل أو أشد ؛ ولذلك حرم اللَّه سبحانه الظلم على نفسه وعلى عباده ، وجعل من حق المظلوم على الحاكم وعلى سائر المسلمين مساعدته على استيفاء حقه ممن ظلمه ، كما توعد اللَّه ﷻ الظالم بالقصاص منه يوم القيامة ، حتى تطيب نفس المظلوم ويفوض أمره ، على أن يكتفي برد الظلم وألَّا يبالغ في الانتقام ممن ظلمه ، وفي ذلك يقول رسول اللَّه ﷺ : « **انصر أخاك ظالماً أو مظلومًا** » ، قالوا : يا رسول اللَّه هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : « **تأخذ فوق يده** » (١) .

ويقتضي تطبيق منع الظلم من قبل الأخصائي الاجتماعي ما يلي :

أ – في عمله مع الحالات يهتم بدراسة ما إذا كان انحراف العميل قد نجم عن ظلم أحد له أو أسفر عن ظلم لأحد .

ب – أن يساعد المظلوم باستخدام كل الطرق المشروعة على استرداد حقه ، كما يساعد الظالم على إدراك خطورة الظلم عليه في الدنيا والآخرة ، وأن رد الحقوق في الدنيا أفضل له من بقائها في ذمته ليتحمل وزرها في الآخرة .

جـ – أن يعمل على إرساء قواعد العدل ومنع التظالم بين العملاء في المؤسسات التي يعمل بها وبين العملاء والعاملين في المؤسسة بحيث يضع الأخصائي الاجتماعي موضع الاعتبار والتنفيذ مسؤوليته عن عدم وقوع الظلم على أحد في المؤسسة ، وأن يساعد المظلوم على الحصول على حقه .

---

(١) أخرجه البخاري عن أنس .

رابعًا – تحريم المقدمات التي يمكن أن تقود إلى الانحراف :

حرم الإسلام المقدمات التي تقود إلى الانحراف وحث على تركها ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور : ٣٠] .

فقد أمر اللَّه بغضِّ البصر ونهى عن النظر إلى حرمات اللَّه وإلى ما في أيدي الآخرين حتى لا تكون النظرة مقدمة لاشتهاء ما في يد الآخرين من أموال أو أعراض أو غير ذلك ، وفي ذلك يقول رسول اللَّه ﷺ : « **النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها خوفًا من اللَّه تعالى أعطاه اللَّه تعالى إيمانًا يجد حلاوته في قلبه** » (١) .

كما حرم خروج المرأة متجمِّلة سافرة حتى لا تكون فتنة للرجال ، وحرم اختلاء الرجل بالمرأة من غير محارمه .

ويتضمن دور الخدمة الاجتماعية في ذلك التعاون مع علماء الدين في تحديد ما يدخل في التحريم على أنه من مقدمات الانحراف ويحرِّمه الدين ولا تحرِّمه القوانين الوضعية ، وإجراء الدراسات التي تثبت خطورة عدم تحريم هذه الأفعال ، وتأثير ذلك في زيادة أعداد المنحرفين ، ونشر هذه الدراسات على أوسع نطاق ، ورفعها إلى المسؤولين لإصدار القرارات التي تضمن تنفيذ التوجيهات الإسلامية الكريمة في هذا الصدد .

خامسًا – تشديد العقوبة على المجاهرين بالمعصية :

يقول رسول اللَّه ﷺ : « **كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملًا ، ثم يصبح وقد ستره اللَّه فيقول : يا فلان عملتُ البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر اللَّه عنه** » (٢) .

ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية في هذا الصدد في الإسهام في العمل على تنفيذ هذا التوجيه النبوي الكريم من خلال توضيح ما يترتب على المجاهرة بالمعصية من شيوع الانحراف ، وتزايد أعداد المنحرفين ، والدعوة إلى تشديد العقوبة على المنحرف الذي يجاهر بالانحراف باعتبار المجاهرة بالانحراف انحرافًا في حد ذاته بالإضافة إلى الانحراف الأصلي ، وأن يتضمن العمل في حالات المجاهرة بالانحراف شرح خطر المجاهرة بالانحراف على المنحرف نفسه والمتمثل في عقاب اللَّه له وفى تحمله وزر الآخرين الذين يمكن أن يقلدوه في انحرافه ، كما يتضمن دعوة وسائل الإعلام المسموعة والمرئية

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني والترمذي والحاكم عن أبي أمامة .

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .

والمقروءة إلى عدم نشر أخبار ما يحدث من انحرافات ؟ لأن ذلك يدخل أيضًا في باب المجاهرة بالمعصية .

٣ - علاج الحالات التي تقع في الانحراف :

الخط الدفاعي الثالث والأخير الذي يضعه المنظور الإسلامي لمواجهة الانحراف هو علاج الحالات التي تقع في الانحراف بالفعل وذلك بمساعدة المنحرف على إزالة العوامل التي أدت إلى وقوعه في الانحراف ، ومن ثَمَّ العودة إلى صراط اللَّه المستقيم والثبات عليه .

ويتضمن العلاج أساليب متعددة ينتقي منها الأخصائي الاجتماعي ما يناسب كل حالة على حدة ، وتتضمن هذه الأساليب ما يلي :

١ - العلاقة المهنية الإسلامية .

٢ - التوبة .

٣ - الإبعاد عن رفاق السوء وتهيئة الصحبة الصالحة .

٤ - الصبر .

٥ - التفاعل العقلي .

٦ - الأسوة الحسنة .

٧ - العلاج بالعبادات ويتضمن :

أ - الصلاة .

ب - الاستعاذة باللَّه من الشيطان .

جـ - العلاج بالقرآن الكريم .

د - العلاج بالاستغفار .

هـ - العلاج بالذكر .

و - العلاج بالدعاء .

٨ - الإثابة على سلوك الصراط المستقيم .

٩ - العقاب .

١ - العلاقة المهنية الإسلامية :

يتفق المتخصصون في الخدمة الاجتماعية بمجالاتها المختلفة على أن وجود العلاقة

obeikandi.com

المهنية بين الأخصائي الاجتماعي من ناحية العميل والأطراف الأخرى للحالة من الناحية الثانية أمر لاغنى عنه لتحقيق أهداف التدخل المهني ، ويتفق المنظور الإسلامي مع هذه المقولة ، إلا أنه يضيف إلى هذه العلاقة ما يزيدها عمقًا وثراءً ، بحيث تصبح أكثر فاعلية في تحقيق أهداف التدخل المهني . وتتكون هذه العلاقة وتنمو نتيجة لالتزام الأخصائي الاجتماعي بمجموعة من القيم المهنية والأخلاقية ، وتنمو مع مرور الوقت ، ويستمد الأخصائي الاجتماعي الذي يعمل طبقًا للمنظور الإسلامي القيم التي يلتزم بها من ثلاثة روافد أساسية هي :

أ – حق المسلم على المسلم ، فالأخصائي الاجتماعي في تعامله مع العميل مسلم يتعامل مع مسلم ، وللعميل على الأخصائي كل ما للمسلم على أخيه المسلم من حقوق .

ب – حق الرعية على الراعي ، فالأخصائي الاجتماعي في عمله راعٍ ونائب عن وليِّ أمر المسلمين في رعاية عملائه ولهم عليه ما للرَّعيَّة من حقوق على راعيها .

جـ – حق صاحب الحاجة على من يساعده في قضاء حاجته ، فالأخصائي الاجتماعي مسلم يسعى في مساعدة أخيه المسلم ، وهو العميل على قضاء حاجته ، وعليه أيضًا أن يلتزم بالآداب الإسلامية للسعي في قضاء حاجة الأخ المسلم .

وتعتبر العلاقة المهنية الإسلامية ضرورية لنجاح استخدام الأخصائي الاجتماعي للأساليب العلاجية ، ذلك أن الألفة المترتبة على وجود هذه العلاقة ، تهيئ أفضل الظروف لنجاح هذه الأساليب .

٢ – التوبة :

يقول الحق سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم : ٨] .

﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف : ١٥٣] .

والتوبة هي رجوع المنحرف إلى صراط اللَّه المستقيم مرة أخرى بعد انحرافه عنه بارتكابه للمعصية . وللتوبة أركان نوجزها فيما يلي :

أ – **العلم** : تقتضي التوبة علم المنحرف بأنه أذنب ، وأن الذنوب لا تقاس بجسامة المعصية ، وإنما بعظم حق من عصاه وهو اللَّه سبحانه ، كما يعلم بوجود التوبة وأنها تجوز من كل المعاصي والذنوب مهما كانت ، كما أن المنحرف في حاجة إلى أن يعلم شروط التوبة وهي :

- الندم على انحرافه ومعصيته لله سبحانه .

- العزم على عدم الرجوع إلى الانحراف مرة أخرى .

- أن تتم التوبة قبل الغرغرة أي قبل اللحظات الأخيرة في حياة الإنسان ، وأن يعلم أن فضل اللَّه ورحمته لا يقتصر على مجرد العفو عن الذنوب ، ولكنه قد يبدل السيئات حسنات .

ب – العمل : وذلك بترك التائب للسلوك المنحرف الذي كان يأتيه ومحاولة إصلاح ما أفسدته المعصية .

ويتطلب عمل الأخصائي الاجتماعي مع من يقع في الانحراف ما يلي :

- تعريفهم بوجود التوبة ومزاياها وشروطها .

- التشجيع على التوبة والترغيب فيها .

ومن الآيات القرآنية الكريمة التي يمكن الاستعانة بها بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه ما يلي : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٩] .

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الفرقان : ٦٨ - ٧٠] .

ومن الأحاديث النبوية الشريفة : « **التائب حبيب اللَّه ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له** » (١) .

« اللَّه أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة ، معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه ، فنام فاستيقظ وقد ذهبت راحلته ، فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء اللَّه قال : أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده ، وعليها زاده وشرابه ، فاللَّه تعالى أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته » (٢) .

---

(١) أخرجه ابن ماجه عن ابن مسعود .

(٢) متفق عليه عن أبي هريرة .

جـ – معاونة التائب على رد الحقوق إلى أصحابها بمساعدته على توفير الإمكانات اللازمة لرد هذه الحقوق ، والشفاعة له عند أصحاب هذه الحقوق للعفو عنه إن لم يستطع ردها .

د – معاونة التائب على الصبر عن المعصية .

هـ – مساعدة التائب على الاستعاضة عن السلوك المنحرف بآخر مباح لإشباع نفس الشهوات والحاجات .

ويستطيع الأخصائي الاجتماعي أن يلعب دورًا كبيرًا في هذا الصدد من خلال التوظيف الجيد للمصادر المجتمعية لمساعدة التائب تثبيتًا له على الصراط المستقيم حتى لا يعود للانحراف مرة أخرى .

٣ – المساعدة على ترك رفاق السوء والاندماج في صحبة صالحة :

ويتضمن دور الأخصائي الاجتماعي في هذا الصدد ما يلي :

أ – تعريف المنحرف بالأخطار المترتبة على صحبة رفاق السوء : وذلك بشرح الأخطار المترتبة على صحبة رفاق السوء من مخالفة لأوامر اللَّه سبحانه ، وذلك عن طريق رواية النصوص القرآنية التي تتضمن النهي عن مصاحبة رفاق السوء وما يصيب الإنسان من جراء هذه الصحبة ، ومن هذه النصوص : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النجم : ٢٩] .

كما يمكن للأخصائي الاجتماعي الاستعانة بالأمثلة الواقعية من حياة المنحرف نفسه وتأثير رفاق السوء عليه بدفعه إلى الانحراف ، وصده عن فعل الخيرات .

ب – تعريف المنحرف بمزايا الصحبة الصالحة : يقابل الأخطار المترتبة على صحبة رفاق السوء مزايا متعددة يجنيها الإنسان من الصحبة الصالحة في الدنيا والآخرة ، وتقتضي مساعدة المنحرف على ترك رفاق السوء شرح مزايا الصحبة الصالحة في الدنيا والآخرة ، ويمكن الاستعانة في هذا أيضًا بسرد بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ومنها :

﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان : ١٥] .

وقول الرسول ﷺ : « **من أراد اللَّه به خيرًا رزقه خليلًا صالحًا إن نسى ذكره ، وإن ذَكَرَ أعانه** » (١) .

---

(١) أخرجه أبو داود عن عائشة .

جـ – تهيئة الصحبة الصالحة ومساعدة المنحرف على الاندماج فيها : للأخصائي الاجتماعي دور كبير في إبعاد المنحرف عن رفاق السوء بعد أن يعلم المنحرف ما يناله من صحبتهم ، ذلك أنه من الصعب على الإنسان أن يفترق عما ألفه ، لما في ذلك من المعاناة من الوحشة والفراغ ، ويتطلب ذلك مساعدته على اجتياز مرحلة الوحشة والفراغ هذه بتقليل المعاناة من خلال المقابلات ، ومن خلال الإسراع بإدماجه مع صحبة طيبة يطمئن الأخصائي الاجتماعي إليها ، وذلك من زملاء المدرسة أو العمل أو الجيرة أو الأقارب ، وتهيئة سبل التعارف بين المنحرف وبينهم مع تهيئة الأنشطة التي تحظى بالاهتمام المشترك من الجميع .

٤ – الصبر :

الصبر هو ترك الأفعال المشتهاة [١] ، ويتفاوت الجهد وقوة الإرادة المطلوبة للصبر عن الفعل المشتهى طبقًا لدرجة اشتهاء النفس لهذا الفعل ، فكلما كانت النفس أكثر اشتهاء للفعل ، كلما كان الصبر عنه أشقَّ وأصعب ، **ويمكن تصنيف الصبر إلى نوعين هما** :

أ – صبر على ما يوافق هوى النفس من النعم التي وهبها اللَّه سبحانه للإنسان مثل : المال والصحة والسلطان والشباب ، والصبر عليها يتمثل في عدم ركون الإنسان إليها ، وأن يعلم أن كل ذلك أمور مستخلفه فيها ، وأن عليه أن يرعى حقوق اللَّه فيها ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦ ، ٧] .

﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥] .

ب – صبر على ما لا يوافق النفس من المكاره ، ويمكن تقسيمه أيضًا إلى قسمين أولهما : ما يكون باختيار الإنسان كالطاعات مثل الصوم والصلاة ، والصبر على المعاصي والغيبة والزنى وغيرها ..

وثانيهما : هو ما يكون بدون اختيار الإنسان مثل الصبر على الأذى الذي يفرض على الإنسان من آخرين مثل الصبر على أذى الزملاء أو الرؤساء أو الجيران ، سواء كان هذا الأذى بالقول أو بالفعل [٢] .

ويقوم الأخصائي الاجتماعي بمساعدة المنحرف على الصبر على النحو التالي :

أ – **التعليم والوعظ والمساعدة على التأمل** : وذلك بتذكيره بأن الإنسان وسائر ما لديه

(١) أبو حامد الغزالي : مرجع سبق ذكره ، المجلد الرابع ، (ص ٦٣) .

(٢) المرجع السابق ، المجلد الرابع ، (ص ٧٠ ، ٧٢) .

من أهل ومال وولد ملك لله ﷻ أعاره له ، وأن مصير كل عارية رجوعها إلى مالكها . وأن مصير الإنسان ومرجعه إلى اللَّه مولاه الحق ، وأنه لا بد له من أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويعود إلى مولاه ليحاسبه على ما فعل فيما أعاره إياه [١] .

ب – مساعدة المنحرف على إضعاف الشهوات التي تدفعه إلى الانحراف ، ولكل شهوة طريقة لإضعافها ، فشهوة الجنس تضعف بالصوم ، وشهوة الغيبة تضعف بالذكر ، وعلى الأخصائي مساعدة المنحرف ، وتهيئة الأسباب المادية التي تعينه على عدم التعرض لمهيجات الشهوات التي تدفعه إلى الانحراف ، كما أن تسلية النفس بالمباح من إشباع الشهوات قد تبعد المنحرف عن الإشباع المنحرف ، فلا يوجد محرم إلا وله مباح من جنسه ، فشهوة الجنس تشبع بالزواج ، وشهوة المال تشبع من اكتسابه بالوسائل المشروعة .. وهكذا .

٥ – التفاعل العقلي :

هو تأثير عقل في عقل آخر يستهدف إزالة الأسباب العقلية التي يمكن أن تكون سببًا في الانحراف ، ويتضمن التفاعل العقلي ما يلي :

أ – **الوعظ والتعليم** : الوعظ هو التخويف من عقاب اللَّه المترتب على ارتكاب المعصية [٢] ، ويتضمن ذلك ما يلي :

– توضيح أثر المعصية في إثارة غضب اللَّه سبحانه على المنحرف .

– مساعدة المنحرف على تأمل وضعه على أنه مجرد مخلوق لله سبحانه خلقه وأنعم عليه ، فما كان منه إلا أن قابل نعم اللَّه بالجحود والنكران .

– مساعدة المنحرف على استحضار عظمة اللَّه وقدرته وقهره وحلمه عليه وستره إياه ، وما يتطلبه ذلك من ضرورة الإقلاع فورًا عن ارتكاب المعاصي ، والعودة إلى الصراط المستقيم .

ويمكن أن يقوم الأخصائي الاجتماعي بالوعظ بوسائل متعددة ، منها : تلاوة الآيات القرآنية التي تتضمن عقاب اللَّه للعاصي وحاله في جهنم وما أعده اللَّه سبحانه من نعمى للمتمسكين بصراطه المستقيم ، وشرح معاني هذه الآيات عند الحاجة وذلك عن طريق المناقشة العقلية أثناء المقابلات .

---

(١) محمد المنجي الحنبلي : تسلية أهل المصائب ، دمشق ، دار الرشيد الطبعة الثانية ، (١٩٨٦م) ، (ص ١٩٨٨) .

(٢) أبو عبد اللَّه الأنصاري القرطبي : مرجع سبق ذكره ، المجلد الأول ، (ص ٤٤٤) .

كما يمكن الاستعانة في ذلك بالكتب التي تتناول مثل هذه الموضوعات وخاصة كتب الترغيب والترهيب ، كما أن البرنامج اليومي للمؤسسات يجب أن يتضمن فقرات لمثل هذه المواعظ خاصة عقب الصلوات ، بالإضافة إلى محاضرات وندوات يستعان فيها بالعلماء والمتخصصين من رجال الدين .

كما أن تذكير المنحرف بالموت وما يترتب عليه من ترك الدنيا وما فيها وإقدامه على ربه حيث لا يجد إلا عمله في الوقت الذي تكون فيه كل متع الدنيا التي حصلها قد زالت وبقي على ما قد خلفه تحصيل هذه المتع من ذنوب ، ولا بأس من زيارة القبور لما لها من تأثير على الإنسان في استحضار الموت من خلال زيارات جماعية أو فردية مع الحالات التي يشعر الأخصائي الاجتماعي بحاجتها إلى ذلك .

ب – الجدل : الجدل هو دفع المرء لآخر عن قول فاسد أو رأي فاسد بحجة أو شبهة [١] .

ويأتي الجدل في مرحلة تالية من مراحل التفاعل العقلي ، فالبداية تكون سوق المعلومات بأسلوب الوعظ والتعليم حتى يكون المنحرف على علم ، فإذا بدأ الجدل بإثارة الاعتراض أو الشبهات على ما يذكره الأخصائي تدخل المناقشة في طور الجدل ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

ومن الآداب التي يجب التحلى بها في الجدل [٢] :

– العدل والموضوعية ، والتخلي عن التعصب للرأي ، والاستعداد للبحث عن الحقيقة والتوصل إليها .

﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٢٤] .

– التقيد بالقول المهذب البعيد عن التجريح والسخرية لوجهة النظر الأخرى فالجدال يجب أن يكون بالتي هي أحسن .

– التزام الطرق الإقناعية الصحيحة في الجدل بتقديم الأدلة التي تثبت صحة الرأي مع طلب الأدلة من الطرف الآخر .

﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟

---

(١) زاهر عواض الألمعي : مناهج الجدل في القرآن الكريم ، الرياض ، مطابع الفرزدق ، د. ت ، (ص ٢٠) .
(٢) المرجع السابق ، (ص ٤٣١ – ٤٣٧) .

بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [النمل: ٦٤] .

- قبول النتائج التي يسفر عنها الجدل .

- المشورة والنصح : المشورة هي طلب المنحرف لرأي الأخصائي الاجتماعي في أي أمر من أموره ، أما النصح فهو تطوع الأخصائي بإبداء رأيه دون طلب ، ويتفق كلاهما في أن الأخصائي الاجتماعي يبدي رأيه في أمر من الأمور التي تخص المنحرف وسواء أبدى الأخصائي الاجتماعي رأيه متطوعًا أو غير متطوع فعليه بصدق النصيحة بحيث لا ينصح إلَّا بما يثق بأنه الحق ، وألَّا ينصح إلَّا بما يرضى اللَّه ورسوله ، وأن يكون أسلوبه في عرض النصح أو المشورة رفيقًا بالعميل ، وألَّا ينصحه في وجود آخرين ، وأن يتبع النصح بذكر الأدلة التي استند عليه فيما يراه .

٦ - العلاج بالأسوة الحسنة :

يقول اللَّه سبحانه :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

الأسوة هي المثل الحي الذي يحتذى ويقتدى به ، وقد أرسل اللَّه سبحانه الرسل من جنس البشر حتى يكون سلوكهم قدوة ومثلًا لتابعيهم ، وقد أمرنا اللَّه سبحانه بالاقتداء برسوله ﷺ ، ويحتاج المنحرف قدوة حسنة يقلدها ويتأسى بها ، ورسول اللَّه هو القدوة للمسلمين ، وعندما سئلت السيدة عائشة عن خلق رسول اللَّه قالت : « كان خلق رسول اللَّه ﷺ القرآن » (١) ، فقد كان سلوكه نموذجًا وتطبيقًا عمليًّا لما يدعو إليه ، ولذا أمرنا اللَّه سبحانه باتباع سنته والتأسي به وأمرنا الرسول أيضًا باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده .

ويقتضي تطبيق هذا الأسلوب من الأخصائي الاجتماعي ما يلي :

١ - أن يكون الأخصائي الاجتماعي في خلقه وسلوكه متأسيًّا برسول اللَّه ﷺ حريصًا على مكارم الأخلاق وحسن السلوك .

٢ - أن يكون على بيِّنة من سلوك الرسول ﷺ في مختلف المواقف ، وخاصة تلك التي تتكرر في عمله مع المنحرف .

---

(١) أخرجه مسلم عن عائشة .

٣ – أن يشرح للمنحرف سلوك الرسول ﷺ وفي كل موقف بطريقة بسيطة تناسب إمكاناته العمرية والعقلية .

٤ – أن يشجع المنحرف على أن يسلك الطريقة المشار إليها ، وأن يغرس في كل نفس المنحرف حب رسول اللَّه ويشجعه على اتخاذه مثلاً أعلى له في كل شيء .

٧ – العلاج بالعبادات :

العبادات هي الأقوال والأفعال التي أمر اللَّه سبحانه عباده بقولها أو بفعلها تحقيقًا لعبوديتهم له وتقربًا إليه ، ولا يعبد إلا بما شرع ، ويستهدف هذا النوع من العلاج مساعدة المنحرف على الدخول في طاعة اللَّه وتذوق حلاوتها ، وإزالة ما يكون قد تراكم على قلب المنحرف من الران المترتب على المعاصي ، واكتساب الحسنات التي تساعده على محو السيئات ، وتحصينه من غواية الشيطان .

٨ – الإثابة على سلوك الصراط المستقيم :

يقول اللَّه سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] .

فقد وعد اللَّه سبحانه بثواب من يعمل صالحًا من المؤمنين تثبيتًا لهم ، وتشجيعًا لغيرهم على فعل الخيرات وسلوك الصراط المستقيم ، ويمكن للأخصائي الاجتماعي استخدام هذا الأسلوب وذلك على النحو التالي :

أ – تعريف المنحرف بما أعده اللَّه ﷻ من أجر لمن سلك صراطه المستقيم سواء كان ذلك بصفة عامة أو بالنسبة لأعمال محدودة مثل الصلاة والصوم أو الصدقة أو غيرها ، والآيات والأحاديث الواردة في هذا المجال كثيرة .

ب – أن يثيب الأخصائي الاجتماعي عميله المنحرف على سلوكه الطيب ، وأنواع الثواب متعددة ، منها : الكلمات الطيبة ، مثل : الدعاء له والثناء على سلوكه الطيب أو الثواب المادي ، مثل : الجوائز وإسناد بعض الأمور التشريعية له كأن يكون رئيس جماعة .. إلى غير ذلك من أنواع الثواب المتاحة ، والتي يجب أن تتوفر لدى الأخصائي .

٩ – العقاب :

ولكل جريمة في الشريعة الإسلامية عقاب ، وينقسم العقاب إلى قسمين ، هما :

أ – **عقوبات دنيوية** : وهي أدوية نافعة ، الهدف منها إصلاح الأفراد والمجتمعات

بكفهم عن المعاصي عن طريق إيقاع الإيلام بالمنحرف [١] ، وتنقسم إلى :

– **الحدود** : وهي العقوبات التي حددها الإسلام بنص من القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة على الجرائم التي تمثل اعتداء على حدود اللَّه ، ولا يجوز فيها العفو سواء من الفرد أوالجماعة مثل قطع يد السارق ، ورجم الزانى المحصن ، وجلد شارب الخمر .

– **القصاص والدِّية** : وهي عقوبات محددة ، ولكن يجوز للمجني عليه أو وليه التنازل عنها أوتخفيفها مثل قتل القاتل .

– **التعازير** : وهي عقوبات يترك تحديدها لولي الأمر أو القاضي .

كما أن هناك نوعًا آخر من العقوبات الدنيوية التي يوقعها اللَّه ﷻ على بعض المجتمعات إذا شاع فيها الانحراف ، وقد أخبر اللَّه سبحانه في كتابه الكريم عن ذلك في مواقع عديدة ، كما أخبرنا بذلك رسول اللَّه ﷺ ، وتشهد بذلك الأحاديث التي تقع بين الحين والآخر ، فما الأعاصير والبراكين والزلازل والفيضانات إلا جند من جند اللَّه ، وما يعلم جنوده إلا هو سبحانه ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٠] .

كما أن هناك عقوبات دنيوية محددة يوقعها اللَّه سبحانه ، على المجتمعات على أنواع بعينها من الانحرفات إذا فشت فيها حددها رسول اللَّه ﷺ ، بقوله في الحديث الشريف : « **يا معشر المهاجرين خصال خمس – إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ باللَّه أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنِوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد اللَّه وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوًّا من غيرهم ، فيأخذ بعض ما في أيديهم وما لم يحكم أئمتهم بكتاب اللَّه إلا جعل بأسهم بينهم** » [٢] .

ب – عقوبات أخروية : وهي أشمل وأعم من حيث الجرائم والانحرافات التي تقع بسببها ، وذلك لتعذر إثبات العديد من الانحرافات بوسائل البشر المحدودة ، على حين

---

(١) أحمد بن تيمية : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، مرجع سبق ذكره ، المجلد الخامس عشر ، (ص٢٩٠) .

(٢) أخرجه ابن ماجه والبزار والبيهقي عن ابن عمر .

أن عقوبات الآخرة يوقعها اللَّه سبحانه بعد مطلق يجازي على مثقال الذرة وعلم مطلق ووسائل إثبات لا يرقى إليها الشك ، تصل إلى إشهاد الجلود والأيدي والأرجل [١] .

ومن رحمة اللَّه سبحانه بالناس أنَّ امتداد أجل توقيع العقوبة يعطِي للمنحرف فرصًا متعددة للتوبة لفعل الطاعات والخيرات الذي يمحو السيئات التي تراكمت بفعل الذنوب وبذلك يمكن تلافي العقوبة .

دور الأخصائي الاجتماعي في استخدام أسلوب العقاب : يختلف دور الأخصائي الاجتماعي في استخدام هذا الأسلوب طبقًا لنوع العقوبة ، كما يختلف دوره في المجتمعات طبقًا لمدى تطبيقها لأحكام الشريعة الإسلامية في العقوبات ، ويمكن تلخيص دور الأخصائي الاجتماعي في استخدام العقاب على النحو التالي :

– أن يطبق الأخصائي الاجتماعي العقوبات الواردة في الشريعة الإسلامية فيما يدخل تحت ولايته المباشرة ، كأن يمكن المضروب من القصاص من الضارب ، إذا لم يقف المضروب عنه إذا كان يعمل في مدرسة أو دار ضيافة .

– أن يدعو إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في الدول الإسلامية التي تأخذ بالقوانين الوضعية .

– يعمل الأخصائي الاجتماعي مع المنحرفين الذين وقعت عليهم أحكام شرعية ، ويساعد الأخصائي الاجتماعي عميله في مثل هذه الحالات على قبول العقوبة على أنها حكم من اللَّه سبحانه ورحمة منه ، تكفر الذنب وتمحو آثاره ، وأن توقيع العقوبة في الدنيا أفضل من عقاب الآخرة ، كما أن عليه مساعدة المنحرف على التوبة والعودة إلى صراط اللَّه المستقيم ، وله أيضًا دور مع المجتمع يتمثل في تصحيح نظرة المجتمع إلى المجرم التائب ، حيث إن التوبة تجب ما قبلها ، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

– ويلعب الأخصائي الاجتماعي دورًا مهمًّا في حالات القصاص والدِّية بالسعي إلى إصلاح ذات البين بين الجاني والمجني عليه ، حيث يمكن العفو عن المنحرف إذا تنازل المجني عليه أو وليه عن حقه ، ومساعدة من حكم عليه بدفع الدية على تدبيرها من أسرته وأقاربه أو من خلال التبرعات أو أموال الزكاة أو غيرها .

– بالنسبة للانحرافات التي أشار إليها الحديث النبوي السابق والتي توعد اللَّه

---

(١) محمد أبو زهرة : نظرة إلى العقوبة في الإسلام ، التوجيه التشريعي في الإسلام ، من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، (١٣٩٢هـ -١٩٧٢م) ، (ص٣٥ - ٣٧) .

المجتمعات التي تقع فيها ، فإن على الأخصائي الاجتماعي أن يكون يقظًا لوقوع مثل هذه الانحرافات .

– يستخدم الأخصائي الاجتماعي الترهيب مع العملاء الذين يلمس فيها إصرارًا على العودة إلى الانحراف بتذكيرهم بعقاب اللَّه سبحانه وتوعده لمن يخرج عن صراطه المستقيم ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تبين ذلك كثيرة ، ويمكن الرجوع إليها بسهولة في كتب الترغيب والترهيب ، ولا يسمح المجال بعرضها نظرًا لكثرتها .

القواعد التي يجب مراعاتها عند العمل مع المنحرفين :

يتطلب الأخذ بالمنظور الإسلامي في العمل مع المنحرفين الالتزام بمجموعة من القواعد التي يجب على من يعمل في هذا المجال الالتزام بها ، ونلخصها فيما يلي :

١ – الإيمان بقابلية سلوك الإنسان للتعديل : يُقِرُّ الإسلام بقابلية سلوك الإنسان للتعديل [١] ، فكل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، وما التوبة إلَّا تعديل في سلوك الإنسان ، ولو لم يكن سلوك الناس قابلًا للتعديل لما أرسل اللَّه سبحانه الرسل لهداية الناس ، ويعتبر إيمان الأخصائي الاجتماعي بصدق هذه المقولة منطلق لا غنى عنه لأدائه لعمله في هذا المجال على الوجه الأكمل ذلك ؛ لأن وجوده يوفر القناعة بجدوى ما يبذله الأخصائي الاجتماعي من جهد لتعديل سلوك عملائه .

٢ – مراعاة الفروق الفردية : يُقِرُّ الإسلام بالفروق الفردية بين الناس في الخلق والرزق والسلوك ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل : ٤] .

﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ [النحل : ٧١] .

وفي هذا المعنى يقول الإمام الغزالي : إن شأن من يعالج الانحراف شأن الطبيب الذي لا يمكن أن يعالج كل المرضى بدواء واحد ولكن لا بد من معالجة كل مريض بما يناسبه [٢] .

---

(١) محمد محروس الشناوي : الإرشاد النفسي من منظور إسلامي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي لعلم النفس الحديث ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، (٢٤ – ١٩٨٩/٧/٢٦م) (ص ٣٩) .
(٢) أبو حامد الغزالي : مرجع سبق ذكره ، المجلد الثالث ، (ص ٦١) .

٣ – التدرج في استخدام أساليب العلاج : يقول اللَّه سبحانه : ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤] .

فقد أمر اللَّه سبحانه بالوعظ أولًا ، ثم الهجر في المضاجع ثانيًا ، ثم الضرب ثالثًا ، فالتدرج واضح حيث نبدأ باستخدام الأساليب الأرفق ، فإذا أفلحت في إعادة المنحرف إلى الصراط المستقيم فقد تحقق الهدف ، وإذا لم تفلح يكون اللجوء إلى الأساليب الأشد [١] .

٤ – التزام الأخصائي الاجتماعي بالسلوك الإسلامي : من غير المتصور أن يحاول الأخصائي الاجتماعي إعادة المنحرف إلى صراط اللَّه المستقيم في الوقت الذي لا يكون هو سائرًا عليه ، فلا يقبل الأمر بالمعروف ممن لا يأتمر به ولا يقبل النهي عن المنكر ممن لا ينتهي عنه ، وفي ذلك قول اللَّه سبحانه : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤] .

٥ – التطبيق المتكامل : لا بد من التطبيق المتكامل لأساليب الشريعة الإسلامية في محاربة الانحراف حتى تؤتي ثمارها كاملة ، فلا يصلح تطبيق بعضها دون البعض الآخر ؛ وذلك نظرًا للتساند القوي بين هذه الأساليب ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥] .

* * *

رقم الإيداع
٨٩٧٣ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولي I.S.B.N
977 - 342 - 635 - 1

(١) محمد محروس الشناوي : مرجع سبق ذكره ، (ص ٤٢) .

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم . . السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته . .

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « أبحاث ندوة الخدمة الاجتماعية في الإسلام » ورغبة منا في تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌّ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سويًّا إلى الأمام .

*** فهيَّا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية : –**

الاسم كاملاً : ..... **الوظيفة :** .....

المؤهل الدراسي : ..... **السن :** ..... الدولة : .....

المدينة : ..... حي : ..... شارع : ..... ص.ب : .....

هاتف : ☐☐☐☐☐☐☐ / ☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐ : e-mail

– من أين عرفت هذا الكتاب ؟

☐ أثناء زيارة المكتبة ☐ ترشيح من صديق ☐ مقرر ☐ إعلان ☐ معرض

– من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : ..... المدينة : ..... العنوان : .....

– ما رأيك في الكتاب ؟

☐ ممتاز ☐ جيد ☐ عادي (لطفًا وضح لِمَ) .....

– ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ متميز (لطفًا وضح لِمَ) .....

– ما رأيك في سعر الكتاب ؟ ☐ رخيص ☐ معقول ☐ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء) ..... العملة .....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوانَ ودَوِّن ما يجول في خاطرك : –

.....

.....

.....

.....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية – الرئيسة منها خاصة – وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على e-mail:info@dar-alsalam.com

أو ص.ب ١٦١ الغورية – القاهرة – جمهورية مصر العربية

لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

obeikandl.com

عزيزي القارئ الكريم :

نشكرك على اقتنائك كتابنا هذا ، الذي بذلنا فيه جهدًا نحسبه ممتازًا ، كي نخرجه على الصورة التي نرضاها لكتبنا ، فدائمًا نحاول جهدنا في إخراج كتبنا بنهج دقيق متقن ، وفي مراجعة الكتاب مراجعة دقيقة على ثلاث مراجعات قبل دفعه للطباعة ، ويشاء العلي القدير الكامل أن يثبت للإنسان عجزه وضعفه أمام قدرته مهما أوتي الإنسان من العلم والخبرة والدقة تصديقًا لقوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ (النساء : ٢٨)

فأخي العزيز إن ظهر لك خطأ طباعي أثناء قراءتك للكتاب فلا تتوان في أن تسجله في هذا النموذج وترسله لنا فنتداركه في الطبعات اللاحقة ، وبهذا تكون قد شاركت معنا بجهد مشكور يتضافر مع جهدنا جميعًا في سيرنا نحو الأفضل .

الخطأ	رقم الصفحة	السطر

شاكرين لكم حسن تعاونكم . . ،

(من أجل تواصلٍ بنّاء بين الناشر والقارئ)

obeikandl.com